الممانعة البنيوية الشيعية
قراءة في رؤى المؤرخين والمستشرقين للتراث الشيعي

Shiite structural resistance:
A reading of historians' and orientalists' views on Shiite heritage

أ. د. عبد الأمير كاظم زاهد
كلية الفقه / جامعة الكوفة

Prof. Dr. Abdul Amir Kadhim Zahid
Faculty of Jurisprudence/University of Kufa

ملخص

يراد بالممانعة فاعلية المنع الذي يحول دون حصول شيء اخر ، وتعني فيما تعنيه المنازعة والمدافعة بين امرين، والممانعة في اللغة مصدر للفعل مانع وتتصل معجميا باللفظ الامتناع (عدم المطاوعة) وبالممنوع والمانعة والمنع والمنيع والممتنع وكلها تعني الحؤول دون تحقق شيء ما وتستعمل الدلالة على استحالة حصول امر ما لوجود موانع الحصول لأن الامتناع يعني تعذر التحقق.

الكلمات المفتاحية: الممانعة، البنيوية، الشيعية، قراءة، المؤرخين.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v2i28.8337

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

الممانعة البنيوية الشيعية

قراءة في رؤى المؤرخين والمستشرقين للتراث الشيعي

الأستاذ المتمرس الدكتور
عبد الأمير كاظم زاهد

الممانعة البنيوية الشيعية

قراءة في رؤى المؤرخين والمستشرقين للتراث الشيعي

الأستاذ المتمرس الدكتور
عبد الأمير كاظم زاهد

المقدمة

يراد بالممانعة (opposition) فاعلية المنع الذي يحول دون حصول شيء آخر ، وتعني فيما تعنيه المنازعة والمدافعة بين امرين ، والممانعة في اللغة مصدر للفعل مانع وتتصل معجميا بلفظ الامتناع (عدم المطاوعة)[١] وبالممنوع والمناعة والمنع والمنيع والممتنع وكلها تعني الحؤول دون تحقق شيء ما وتستعمل للدلالة على استحالة حصول أمر ما لوجود موانع الحصول لأنّ الامتناع يعني تعذر التحقق.

واصطلاحا : هي إحدى معاني الضد المقاوم وهو مختلف عن الضد الصامت وهذا المعنى مستقى من علم الفيزياء الكهربائية وقد أعطاه استعمال الدارسين معنى التقابل التناقضي بين شيئين على قاعدة (النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان) لذلك عبر المرداوي من فقهاء الحنابلة عن الممانعة بأنّها التناقض على سبيل استحالة الاجتماع واستحالة الارتفاع[٢]

وورد في علم الاستنباط الفقهي أنّ المانع أحد أقسام الحكم الوضعي ويراد به علة انتفاء التكليف ويقسمه الآمدي الى قسمين مانع الحكم ، ومانع السبب ، ومانع الحكم كما يعرُفه هو كل وصف وجودي ظاهر منضبط مستلزم لحكمة مقتضاها بقاء نقيض الحكم الممنوع، أما مانع السبب فهو كل وصف يخل وجوده بحكمة سبب ما لحكم آخر يقينا[٣] أي أنّ مانع السبب إذا وجد فإنّه يوجد خللا في سببية حكم آخر ويهدر تلك السببية فيهدر الحكم لإهدار سببه

والممانعة التي نحن بصددها تشتمل على ممانعة الحكم وممانعة السبب معا وتعني ممانعة الحكم أنّ احكام الفقه الشيعي مانعة من تسلل النزعة الأصولية العنيفة للعقل الشيعي، ومانعة السبب تعني وجود افكار ونظريات في المنظومة الشيعية تقرر عدم برهانية الاسباب التي تفضي الى الأصوليات العنيفة

وبالجملة فإنّ الممانعة هنا هي مجموعة العوائق العقائدية والمنهجية والفقهية والاخلاقية التي لا تسمح بقبول فكرة ما مثل الممانعة الشيعية لتقبل الفكر الأصولي أو للتنازل عن القراءة الخاصة بهم للاسلام فهي لا ترى العنف الديني سواء كان من الدولة أو من جماعات متعصبة مشروعاً إلهيا أو فكرة مقدسة أو حتى نظرية مقبولة للسلوك الاجتماعي، ويتسع المصطلح عند بعض العلماء الى ما يتعدى الحؤول دون تسلل أفكار الأصوليات العنيفة حتى لو لم يعمل بها، أي تغلق الطريق أمام تكوين منظومة منتجة لمعرفة متعارضة مع ثوابتها ومتقابلة بالضد لتلك الاساسيات [٤] بعد أن تقيم الدليل على عدم أصالتها ومخالفتها للعقلانية النقدية المقارنة وهو المنهج البنيوي الشيعي وتسمى تلك أسانيد المنع سواء جاءت بنقض المقدمات أو بنقض المتون أو أنّ مجمل الفكر الممانع ينتج عنه مشهد مناقض للمشهد الأصولي.

أما البنيويةstructuralism فهو مصطلح حديث ظهر في أوائل القرن العشرين عندما نشر المفكّر الفرنسي دي سوسير في ١٩١٦ كتابه اللسانيات في باريس واستعمل مصطلح البنية والبنيوية واراد بها محصلة السياقات اللغوية فصارت بعده تعني العلاقات الداخلية بين عناصر النص ومعطيات عموم المضمون حتى قيل أنّ المضمون الفكري يكتسب رؤيته من البنية العامة للنص ثم تحولت البنيوية الى رؤية منهجية لتحليل النصوص ، ثم استعارها كلود ليفي شتراوس[٥]فأوجد منها نمطا لتحليل الظواهر أسماه التحليل البنيوي وطبقه في مجال الدارسات الاجتماعية ثم تسرب المصطلح لأدبيات الماركسية فكانت ادواتهم التحليلية تبدأ من الكل الى الأجزاء فقالوا أنّ الأفراد لا يمكن فهمهم بمعزل عن وجودهم الاجتماعي [٦] وقد انتاب مفهوم البنيوية قدر كبير من التعقيد حتى قال عنه ميشيل فوكو أنّه من الصعب اعطاء مفهوم محدد للبنيوية لأنها أضحت مدرسة منهجية في داخلها اتجاهات ومباحث عدة فقد فرق جان بياجيه بين البنيوية كأسلوب للدلالة على المراد الجدي للسياق وبين الأفق المثالي الذي صيغ لها وتشعب البحث فيها حتى تحولت الى مدرسة منهجية متعددة الاتجاهات.

أما استعمالنا لها في عنوان البحث فسوف يتركز على كونها عموم الاطار المعرفي المتماسك كمنظومة فكرية تدرس من خلالها توصيفات الظواهر المختلفة والمواقف إزاء الافكار مثل الموقف من أصوليات العنف المعاصرة لأنها محصلة النسق الداخلي المترابط.

وينطلق البحث من تحديد ماهية المنظومة البنيوية وأنساقها من النشأة الأولى الدينية والتأريخية والسياسية للتشيع ثم مجموعة العقائد المذهبية ومنهج إنتاج المعرفة الدينية ثم فقه الشيعة ، ومواقف مؤسستهم الدينية عبر تاريخها الطويل بحيث تبدو هذه العناصر كأنها منظومة ساندة لبعضها ويصدق عليها مفهوم البنية الموضوعية ويمكن أنّ تكون مادة للبيانات المعرفية لاستخراج الموقف إزاء ظاهرة اجتماعية كبرى ومعاصرة ،لذلك فانا افرق بين محصلة البنية وما ينتج عنها وبين راي فقهي قد لا يبدو منسجما مع عموم المنظومة ينفرد فيه فقيه ما أو متكلم أو مفسر شيعي بما لا يتناغم مع البنية المعرفية لأنّ من ابرز خصائص البنيوية أنّ الاسبقية للكل على الاجزاء وانها تعمل نسقا مترابطا ومتكاملا.

وعليه فالتحليل البنيوي– فيما ارى – سيكون اكثر استقراء من أي تحليل آخر وسيقدم مداليل مكثفة ومعبرة عن الموقف التاريخي وليس الاني الظرفي المتأثر بضغوط زمنه لأنّ النسق البنيوي هو اللاتاريخي وهو ما تنتجه كل علاقات المنظومة الفكرية مع الاخذ بالاعتبار عناصر التزامن وحركة النص و التعاقب أي مسار الصيرورة والتكون[٧] ومن خلال دراسة النظم والانساق والعلاقات والقوى الفاعلة داخل البنية يمكن اكتشاف الموقف التاريخي الشيعي إزاء القضايا الكبرى ومنها الموقف من اصوليات العنف الديني المعاصرة.

ويراد بالفكر الشيعي ذلك التراث الذي تأسس مرتبطا بشخص الامام علي (ع) منذ عصر النبوة وامتد مع تراثه عبر عصور القرون الاربعة عشر المتعاقبة من دون قطيعة معرفية أحداثا ، ومدونات روائية ، وتفاسير وعقائد، ومنهجاً الانتاج المعرفة ، وفقه ، ومؤسسات القيادة التاريخية للشيعة.

أنّ هذا البحث يلتزم بالقواعد المنهجية للدراسات الاجتماعية ولكن من خلال تحليل تراث المؤرخين والمستشرقين وتفسير ما غمض منه تعويلا على عموم النظم والأنساق المعرفية والعلاقات فيما بينها وآثارها على تشكيل المواقف لأنّ تفاعل المجتمع الشيعي مع النصوص الدينية صار امرا ثابتا وكان عاملا سببيا للأحداث والوقائع التأريخية.

إنّ فهم المسار الثقافي لجماعة ما ضمن قواعد العمل في الفلسفة الإجتماعية يفضي الى قراءة قد تكون صحيحة للتكون والممانعة، لن نقف عند الصلة بين علم الاجتماع والتاريخ الشيعي إنّما سنتجه الى تحديد الظروف الفاعلة والمكونة للتشكل الاجتماعي الشيعي برصدنا لتأثيراتها السيسيولوجيا التي اسهمت في صناعة العقل الشيعي القديم والوسيط والمعاصر.

ولعلّ الانطلاق من مفهوم الكل المجتمعي يكشف عن المركز المجتمعي statut social والدور المجتمعي role social للجماعة الشيعية داخل البيئة الموافقة والمخالفة في آن واحد ويمكن أن يكون بوصلة للبحث يتجه بها الى دراسة التتابع الزمني للفكر الديني والتجربة الشيعية لاستحالة فهم الحاضر إلاّ

بفهم علمي للتراث علما أنّ ما يهمنا ليس أرشفة الماضي بقدر توظيفه لفهم الحاضر فنحن أمام ظاهرة اصولية معاصرة وخطرة على الوجود الديني وعلى الحياة والحقوق المدنية لذلك فنحن مضطرين لإجراء عملية تفكيك ذهني لبناءات الماضي وصولا للتعميم والتجريد لقوانين تحدد النمو الاجتماعي وتكون الأساس في القواعد النشطة التي تكوّن العقل المعرفي الشيعي الذي به تتشكل المواقف والتقييمات والتفضيلات للأشياء والاشخاص والافكار كما يقول مالك بن نبي

المطلب الأول: قراءة المستشرقين للممانعة الشيعية إزاء الأصولية

اعتنى المستشرقون منذ القرن التاسع عشر في دراسة التشيع واستند اغلبهم في مؤلفاتهم إلى المراجع الإسلامية الموجودة والمحققة آنذاك والمدونة على وفق المروج له في ازمان الدولتين الأموية والعباسية .

ومن المؤسف أنّ بعضهم لم يبحثوا لاختيار المصادر بحثا جادا ومنصفا وموضوعيا ولم يقتربوا من اكتشاف الحقائق التاريخية التي يمكنهم اكتشافها من مقارنة النصوص التاريخية المتناظرة إلاّ القلة التي أشارت إلى ضرورة الرجوع إلى المصادر الشيعية مثل (دونالدسون) مؤلف كتاب عقيدة الشيعة [٨]ودراسة (Madeluny) التي شددت على رأي الشيعة بأن الإمام قائد السلطة الإلهية وصاحب القيادة السياسية [٩] بما يعادل مفهوم (divinely guider) .مما يشير الى القيادة المعصومة الدينية وهنا نشير بصورة خاصة إلى أطروحة (B. Lewis) ((أصول الإسماعيلية)) بوصفها نموذجاً للنمط الاول وان كانت لها مقاربة مهمة تحلل فيها (مأساة كربلاء) بما يختلف عمن سبقها فهو يقرر أنّ المأساة كانت السبب في تفاعلات الصيرورة الشيعية تاريخياً وعقائدياً ولها أثر مهم في تطور التشيع، وتحوله من المعارضة السلمية إلى معارضة دفاعية. ويفسر لويس ذلك أنّ الشيعة استشعروا نوايا الاستئصال من جهة السلطة سواء على مستوى عقائدهم وأفكارهم ومفاهيمهم فاختاروا الدفاع ، وبذلك دخل الشيعة بعد تأسيسات ثورة الحسين وتضحيات حركة التوابين عام ٦٤هـ مرحلة جديدة وهي مرحلة إعداد جيل شيعي يؤمن بأفكار التشيع ويدافع عنها بالفكر والمناظرة وبالاستعداد للتصدي لعدوان الأمويين ويحميه من قوة السلطة مسوغا في ذلك الدفاع المسلح إذا تطلب الأمر، وهو تطور مهم بعد أنّ كانت تلك الجماعات تلتزم بممارسة المعارضة السلمية الايجابية في زمن الخلفاء الأوائل .

وقد ظهرت دراسات المستشرقين للفكر الشيعي في مصدر مهم جدا هو دائرة المعارف الإسلامية Encyclopaedia of Islam , New edition (E12) وقد ورد ذكر الشيعة في القسم (E12) [١٠] وكان د. حسين نصر الأستاذ بجامعة جورج واشنطن قد كتب فيها تأريخ التشيع . وتناولت مقالات الموسوعة الأخرى رجال الشيعة (محدثين، فقهاء، متكلمين) كما تناولت سيرة الأئمة الإثني عشر . ومن جملة ما كتب بحث مميز عن (الشيعة الإمامية كما في نصوصهم الروائية) للدكتور جوزيف الياس، الذي

تناول نظريتهم السياسية وبحث السيد إتيان كولبرج عن الأصول الأربعمائة Al-usul-arbaumia, in Jerusalem studies in Arabic and Islam, 10 (1987) pp واطروحة برنارد لويس B. Lewis الذي أوجز أصول الإسماعيلية وفيها ابحاث و مقالات حول الإمام الرضا، والإمام الهادي لاسيما في (E 12) *.

وفي مؤلفات المستشرقين عن التشيع عدة اتجاهات، مهمتنا هنا أن نفتش عن إشاراتهم للممانعة البنيوية للشيعة إزاء الأصولية وممانعتهم المقابلة من أنّ يتحولوا الى مجتمع يفتقد خصوصية القراءة المنظمة للدين ويتبع ما تريده ثقافة السلطة.

وسأستعرض بإيجاز بعض الكتابات باحثا عن اشارات الممانعة الشيعية:

أولاً : مؤلفات المدرسة الألمانية :للمدرسة الأستشراقية الألمانية إسهامات مهمة منها ما كتبه فلهاوزن عن (أصول التشيع) ط ١٨٩٩م الذي طبع في برلين ١٩١٨م ثم كتابه عن المعارضة الدينية في الإسلام . وفيهما تجد إشارة الى المعارضة الشيعية رغم تحفظها على تصميم الدولة بعد عصر النبوة واستمرار ذلك حتى ماساة كربلاء ٦١ هـ .

وترجم فستنفليد كتاب مقتل أبي مخنف وعرض في شروحاته للكتاب إلى عقائد الشيعة وفيها اشار الى أصلي الامامة والعدل وألّف شستروسمان عدة كتب : منها كتاب الشيعة الإثني عشرية عام ١٩١٢م وطبع في ليبزك عام ١٩٢٦م وأطروحة للدكتوراه عن المذهب الزيدي الذي عرض فيه لنظرية الإمامة لاسيما أنّه الذي اشرف على الباحث العراقي جواد علي في أطروحته عن المهدي و(السفراء الأربعة) للإمام الغائب وقد تأثر به هاينز هالم فكتب عن الزيدية كتابا أسماه الشيعة .وهنا ننبه الى التركيز الاستشراقي على الفروق بين الإمامية والزيدية.

وكتب فون كريمر عن تاريخ المذاهب الإسلامية وتطرق إلى مذهب الشيعة . وقد وصف د. عبد الجبار ناجي كتابه بقوله: لقد حلل التشيع تحليلاً ممتازاً[١١] .

وترجم المستشرق مولر ١٩٠١م كتاب ابن بابوية (كمال الدين) وهو من المدونات المبكرة في تأريخ التدوين الشيعي وقد طبع في هيد لبرج .

وكتب نولدكه كتاباً عن الإمام الحسين وتناول فيه التشيع في التاريخ والعقائد كما كتب بحثا آخر عن الشيعة في مجلة الإسلام عام ١٩٢٣م بحيث يمكن الاستخلاص منه بأنّ الشيعة اختاروا استراتيجية صعبة فأوجدوا ممانعتين الأولى الا يحصل ذوبانهم في الغالبية الصامته والمغلوبة من السلطة والثانية ألاّ يتحولوا الى جماعات عنفية متشددة من جراء الاقصاء والتهميش والقمع الممنهج .

واستطاع مادولنك الفرز بين الروايات الشيعية، والمصادر السنية لاسيما فيما يتعلق بالعقائد الشيعية فقد نشر (١٩٩٧م) كتاباً عن الخلافة الإسلامية كانت فيه لفتات مهمة، منها تطرقه بشكل لافت إلى (الجدل الشيعي حول شرعية امتلاك الحكام للخراج) وهو تفريع على نظريتهم في شكل الدولة ومشروعيتها وما أشار له من أنّ الشيعة يريدون من منصب الإمامة معطيات السلطتين الإلهية والسياسية وبذلك يضع أحد مكونات الممانعة بأنّ الإمامة ليست فقط قيادة دنيوية كضمانة لاستمرار الخصوصية المندمجة. وكان قد اعتمد في كتابه (قائم آل محمد) على مصادر مبكرة للشيعة مثل كتاب الإرشاد للمفيد وكمال الدين لابن بابوية والغيبة للنعماني . وقد كانت لديه مقارنة مهمة بين الفقه الإمامي والفقه الزيدي، قدمها إلى مؤتمر باريس ١٩٧٠ م.

وكتب هاينز هالم كتاباً عنوانه (الشيعة Die Schia) ترجم إلى عدة لغات منها العربية وصار مصدراً للمستشرقين الآخرين و كان هالم في الأصل متخصصاً بالإسماعيلية لأنه كتب أطروحته بعنوان (دولة المهدي عند الفاطميين) وطبعها في ميونخ عام ١٩٩١ م. كما كتب جرهارد كونسلمان كتابا أسماه سطوع نجم الشيعة ترجم في مصر عام ٢٠٠٤م.

مما تقدم لا يفصح تماما البحث الاستشراقي عن الممانعة المركبة عند الشيعة إلاّ بالغوص في تأملات مقارباتهم وتحليلها والافادة منها .

ثانياً: المدرسة البريطانية :تعد المدرسة البريطانية من أقدم مدارس الاستشراق التي درست التشيع و أهم ما صدر عنها كتاب ماكدونالد (تطور الفقه والشريعة) الذي طبع بنيويورك ١٩٢٦ وكتاب الحياة الدينية في الإسلام ١٩٠٩وترجم ميللر كتاب (الباب الحادي عشر) للعلامة الحلي الموسوم بـ (النافع يوم الحشر) مع التفسير والشرح ونشره في مجلة الجمعية الآسيوية ١٩٢٨ ومع صغر هذه الرسالة إلا أنها تعد مهمة جداً لانها ترسم تصورا لتطور الفكر الشيعي من وجهة تأريخه الاجتماعي والسياسي رغم أنّ للنص وجهة لاهوتية وله بحث آخر حول التصوف الشيعي الذي اعتبره من عناصر الممانعة الشيعية إزاء موجة السلفية الأصولية التي قوبلت باللجوء الى التصوف بعد أنّ عجز المجتمع عن مقاومتها .

وكتب هودجسون بحثا قيما أسماه (كيف أصبحت الشيعة فرقة) استعرض فيه المصادر التاريخية عن التشيع ، كما كتب عن الشيعة في العصر الأموي مبينا صور الإضطهاد ولم يشر الى تداعياته النفسية والإجتماعية واثاره في صياغة الموقف السياسي لكنه لفت الانظار الى أنّ ذلك الاضطهاد لم يضطر الشيعة الى تبني مقولات التعصب . وشاطره مونتغمري وات إذ وثق المراحل الأولى للتشيع الإمامي، في دراسة أسماها (الروافض – دراسة تمهيدية).

أما (دوايت دونالدسون) فقد كتب كتاباً أسماه الديانة الشيعية (The Shi ite Religion) عام ١٩٣٣م وهي رسالة دكتوراه عن الأئمة الاثنا عشر أفرد فيها لكل أمام باباً خاصاً، ولكل مدينة مقدسة باباً خاصاً، ووقف على عقائد الإمامية (في العصمة والشفاعة) وأشار إلى الكتب الرئيسة للفكر الشيعي، وتوغل في الأحداث التأريخية التي أسهمت في التطور التأريخي للتشيع وقد ترجم الكتاب إلى العربية بعنوان (عقيدة الشيعة). يقول د. عبد الجبار ناجي : إنّ ترجمة الكتاب غير دقيقة وهي بحاجة إلى إعادة نظر ودراسة وتعقيب .

وكتبت المستشرقة أنّ لامبتون بحثاً مهماً عن مرجع التقليد ومكانته في المؤسسة الدينية الشيعية نشرته عام ١٩٦٤م . أشارت فيه الى الية الضبط الاجتماعي عند الشيعة وكتب وللي عن التشيع الفلسفي المبكر الذي أصدرته كمبردج ١٩٩٣م ، وله إسهامات من خلال عمله في قسم الدراسات الدولية في جامعة ساوث كارولينا منها دراسات حول أوضاع الشيعة في العراق تاريخياً وإحصائياً وعن مدى تأثير الصفويين على التشيع في العراق .كما كتب اندرو نيومان بحثا مهما عن الفترة التكوينية في مباني الأحاديث الشيعية بين بغداد وقم هو يقارب أطروحته أصول مدرستي الأصوليين والإخباريين وأردفه ببحث عن طبيعة الخلاف بين الإخباريين والأصوليين في العهد الصفوي وآخر عن هجرة العرب الشيعة إلى إيران. ترجم الى الفارسية والعربية.

والملاحظة العامة للدراسات الاستشراقية البريطانية التي صدرت بعد عام ١٩٧٩م أنها حاولت تشويه التشيع بسبب الموقف السياسي الغربي من تجربة إيران الإسلامية عام ١٩٧٩م. فمثلاً نجد دراسة (كالدر Calder) في الثمانينات قد تناولت الجوانب العقائدية، فتماهت مع المطلوب آنذاك من تشويه المعتقدات الشيعية بالاعتماد على كتب خصومهم في كتاب (بنية السلطة) أو (الولاية) في الفقه الشيعي من القرن العاشر إلى السادس عشر الميلادي وكذلك ببحثه عن نظرية الاجتهاد عند الشيعة وبحثه عن الزكاة في الفقه الشيعي وبحثه المكمل (الخمس في الفقه الشيعي). [١٢]

ثالثاً : المدرسة الفرنسية : تنتمي المدرسة الفرنسية الى الثقافة الكاثوليكية وقد صدر عنها مجموعة دراسات منها:

دراسات د هنري كوربان الذي زار إيران عدة مرات والتقى بكبار علماء الشيعة وصحح الكثير من وجهات النظر التي كان يتبناها وإنطباعاته عن التشيع، ومن تلك المناظرات لقاءاته مع محمد حسين الطباطبائي (صاحب الميزان) حتى عام ١٩٧٨م، وكوربان متخصص بالفلسفة الإسلامية ، وبالشيعة الإسماعيلية وهو يمثل الجيل الثاني من المستشرقين الفرنسيين ويجدر التنويه أنّ عموم الاستشراق الفرنسي مهتم بالفلسفة، فدرس فلسفة التشيع [١٣] وانتهى كوربان إلى أنّ التشيع هو المذهب الوحيد الذي يديم العلاقة بين البشر

وبين هداية الله (بمفهوم الإمامة) المستمرة إلى يوم القيامة .وهذا من القلائل الذين يشيرون إلى نتف من الممانعة الشيعية.

وألّف جوزيف آرثر كومت دي جوبينو كتاباً عن (الأديان والفلسفات في أواسط آسيا) وفيه يرى (أنّ عقيدة الشيعة نسخة مطابقة للأديان الايرانية القديمة) وقد رد عليه مطهري في كتابه (الإسلام وإيران) الذي ترجمه اليوسفي الغروي.(١٤) ردا علميا

ومنهم ايدجربلوشيه : الذي تأثر بسابقه وكتب (الأثر التطوري المسيحي والبوذي في المعتقدات الشيعية) صدر في باريس ١٩٢٦م وكان يرى: أنهم فرقة إسلامية ارثوذكسية (محافظة) معتمداً على مصادر من خصوم التشيع العقائديين.

أما هنري لامانس فقد كانت آراؤه تهدف إلى التقليل من الآثار السيئة لسياسات معاوية وقد ألف كتابين أحدهما عن معاوية والآخر عن يزيد بن معاوية، وفي الدراسة تشكيكا كاملاً بالحديث النبوي والسيرة النبوية. وكتب شارل فيرولو عن الحسين نشره عام ١٩٢٧م وتعمق في الظروف الزمنية للقرن الاول الهجري .

وكتب كلود كاهين: كتابا عن (الحركات الشيعية في آسيا) عام ١٩٥٩م تناول فيه عقائد الشيعة الإسماعيلية.

وكتب كلمرد ١٩٧١م (الشيعة في إيران خلال عصر السلاجقة) اعتماداً على كتاب النقض وكانت أطروحته التي قدمها إلى جامعة باريس (دراما كربلاء قبل الفترة الصفوية). وكتب يان ريشار بحثا عن الإسلام الشيعي ترجمه حافظ الجمالي ١٩٦٦م.

ومن الجدير بالشأن الإشارة إلى أنّ المؤتمر الأول عن التشيع الذي عقد في ستراسبورغ ١٩٦٨ م بعنوان (الشيعة الإمامية) قد أصدر إعمال المؤتمر عام ١٩٧٠م، وكانت أبحاثا ثرية وممتازة حول التشيع وكان ممن حضره السيد موسى الصدر ، والدكتور حسين نصر، بل إنّ نصف باحثيه متخصصون في الفكر الشيعي (١٥).

وضمن المدرسة الفرنسية هناك دراسة لفرانسوا توال عن الجغرافية السياسية للشيعة أسماه الشيعة في العالم صحوة المستبعدين ترجمة نسيب عونن ونشرته دار الفارابي هائلة. فقد أجرى مسحاً لتواجد الشيعة في العالم وحدد دورهم السياسي لاسيما إيران وشيعة العراق والخليج. ويرى توال أنّ التشيع العربي هو مذهب المحرومين والمضطهدين المنتظرين لظهور المصلح وهو مذهب الأقلية من المسلمين مما جعل هذا المذهب حركة ثورية مستمرة وهذا ما جعله يحمل تفسيراً خاصاً للتأريخ والمستقبل ، وجعل عودتهم للتأثير في السياسة العالمية مشروعاً لانفجار كبير . وذهب إلى أنّ التشيع في إيران كان مذهب السلاطين

والملوك، فالتشيع العربي عنده هو القوة المختزنة في عقيدة الانتظار التي تجعل من الأقلية قادرة على إحداث تحولات هائلة. وفي هذا الكتاب تجد تحليلات مهمة عن الممانعة الشيعية.

رابعاً : المدرسة الإيطالية : ظهرت عن المدرسة الايطالية إنجازات كبيرة من أهمها:

بجث المستشرق موسكاتي الذي كتب عن (صحيفة أبي هاشم بن محمد بن الحنفية) ودرس فيها المصادر المعنية بالصحيفة وأمور أخرى تتعلق بتاريخ التشيع منها دور الإمام الصادق في وضع الأسس العقائدية وقد نشره ١٩٥٥م ومنها دراسة : المستشرق فاجيلري : التي دافع عن الإمام علي والحسن والحسين، وكان ضد آراء هنري لامانس، وهو الذي كتب بحثاً عن غدير خم عرض فيه موقف المشككين من المستشرقين وأفاد بأن السبب هو ابن سعد وابن هشام الذي أعاد كتابه السيرة لابن إسحق .

خامساً : المدرسة الهولندية : لم يكن دور المدرسة الهولندية في ميدان التشيع أمراً لافتاً ويمكن الإشارة إلى فان فلوتن في كتاب (مقتل الحسين) .

سادساً : المدرسة السوفيتية : ظهرت في المدرسة السوفيتية عدة مصنفات مهمة في مجال التشيع منها كتاب ايفانوف عن الإسماعيلية والتشيع المبكر، الذي ركز فيه على العقائد الشيعية أيام الأمويين وكيف أدت سياساتهم إلى حدوث الثورات ، ومنها مؤلفات (مارسينكو فسكي) الذي تخصص بكتب الكليني وكتب عن أعمال الشيخ المفيد وكتاباته، وعن عصر الصدوق وحياته.

وهناك المستشرق الارجنتيني لويس البيرتو الذي كتب دراسة نقدية للإسلام الشيعي وهي دراسة مهمة أصدرها في عام ٢٠٠٦م ثم كولد زيهر المجري الذي كتب عن أدب الجدل الشيعي السني وكتب عن مذهب التقية في الإسلام ١٩٠٦م. ومن خلال الاطلاع على مباحث الموسوعة أجد ومن الضروري الإشارة إلى الأمور الآتية :

١/ تعتمد بعض دراسات الاستشراق أسلوب البحث الاجتماعي وليس اللاهوتي وأغلب دراساتهم من دون أحكام مسبقة، وجل اهتمامهم على الجانب الاجتماعي فجاءت البحوث بعيدة الغيبيات ولكنها عموماً أفكار في الغالب تكونت خارج ثقافة المسلمين، ومن اللافت أنهم يضعوا استنتاجاتهم ويتركوها فرضيات وتساؤلات مفتوحة في إطار المحتمل .ويبقي التمحيص والمراجعة للقارئ بحيث يمكن الافادة منها في رصد الممانعة.

٢/ يراعي فيها عرض المقولات العقائدية بحسب تسلسلها التاريخي وعند دراستهم لشخصية واحد من أئمة آل البيت فإنّهم يتعاملون معه كشخصية معارضة وبذلك يقدمون معلومات وتحليلات لبحوث ترصد الممانعة.

٣- يتناولون آثار الشيعة وأقوال الأئمة باقتضاب ويتناولون الانشقاقات الحاصلة بعيد وفاة أحد الأئمة باسهاب مع تفسيرات مستقاة من الثقافة المعاصرة فيزنون الحدث التاريخي بموازين معاصرة.

٤- يذكر المستشرقون فهرست الكتب التي استقوا منها حسب الترتيب الزمني لوفاة مؤلفيها لضبط زمن صدور الرأي لكي تتابع تطورات العقيدة الشيعية بالاقتران بالحدث التأريخي.

٥- يلاحظ في أسلوب المستشرقين لاسيما في مقالات دائرة المعارف الإيجاز وعدم الخوض بالتفاصيل في الغالب. مما يقلل من قيمتها التاريخية في مثل محاولتنا

٦- وقفت المدونات الاستشراقية على أنّ بعض الأئمة تذكره مئات المصادر ، وان بعضهم يقل ذكرهم في المصادر الأمهات كالحسن العسكري . ولم يهتد واحد منهم الى السبب الذي يكمن في ممانعتهم.

٧- اكتشف المستشرقون إنّ بعض الأحداث قد تناولها عشرات الباحثين مثل صلح الحسن، عاشوراء، ولاية العهد للإمام الرضا، بينما هناك الكثير من الوقائع ظلت دون إثراء معرفي كافٍ مثل دور الإمام زين العابدين بعد واقعة كربلاء، ومناظرات الإمام الرضا للدهريين والملاحدة وأهل الكتاب وغيرها من أحداث ساهم الأئمة فيها وفي ذلك رصد مهم جدا

المطلب الثاني: الممانعة البنيوية في المراجع المبكرة للتراث الشيعي:

أنّ أقدم المصادر المتوفرة من كتب الإمامية الكتاب المنسوب لسليم بن قيس الكوفي الهلالي الملقب بأبي صادق (ت٩٠هـ)، وقد أدرك سليم بن قيس علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين والباقر وتوفي في فترة أمامة علي بن الحسين مستتراً عن الحجاج أيام ولايته، وتعطي الشيعة أهمية كبيرة لكتاب سليم بن قيس وتعده من الأصول التي يعوّل عليها ، يقول النعماني (أنّ كتاب سليم بن قيس أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم من حملة حديث أهل البيت وأقدمها .) . ويذكر ابن النديم أنّ سليماً قد أخفى كتابه هذا لأنه عاش أيام الحجاج متوارياً فلما حضرته الوفاة سلم الكتاب إلى أبان بن أبي عياش الذي رواه وهو أول كتاب ظهر للشيعة .وفي الكتاب امور انكرها المحققون الشيعة ولعلها تداعيات الاضطهاد وإرهاصات الممانعة وهو نص خصب للإفادة منه في تأسيسات الممانعة.

ولأحمد بن محمد البرقي ت ٢٧٤ هـ مؤلفات مبكرة منها (كتاب المحاسن) وفي هذا الكتاب أبواب متفرقة من الفقه والعلل الشرعية والآداب كما يتناول الأحوال الاجتماعية ساعيا الى بناء نمط اجتماعي متميّز للشيعة، وفي الكتاب معلومات متفرقة في وصف آل محمد وولايتهم كما يذكر عن الرافضة ويعرفها ويقسم كتابه إلى أبواب متفرقة مثل باب الواحد وباب الثلاثة ... الخ وهذا السبيل سار عليه القمي بعده في كتابه (الخصال) .

أما سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي (ت٣٠١هـ أو ٢٩٩هـ) فذكر في كتابه (المقالات والفرق) أخباراً مفصلة عن أصل التشيع وما تكون من الفرق الشيعية حول الأئمة وعن علم الكلام و فرق الشيعة الإمامية والزيدية والمخالفين لهم وكذلك ذكر الغلاة وفرقهم وأشار الى الرفض الشيعي لموجة الغلو لئلا يتحول الى حاضنة للتشدد والأصولية . ومعلوماته مهمة بالنسبة لقدم فترتها الزمنية فقد ذكر الصدوق في (كمال الدين وتمام النعمة) أنّ سعداً لاقى الحسن العسكري وسمع منه. وبالإضافة إلى الأخبار عن فرق الشيعة أورد سعد القمي آراء في صفة الإمام وعصمته كما روى أخباراً عن التقية .

يأتي بعد سعد القمي أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي (ت٣١٠هـ) فذكر في كتابه (فرق الشيعة) الأخبار نفسها والتقسيمات التي أوردها سعد القمي في كتابه ما عدا بعض الإضافات القليلة والاختلافات في الأسلوب وقد عمل الدكتور محمد جواد مشكور مقارنة بين كتابي النوبختي والقمي فذكر الاختلافات وذكر الزيادات في كل منهما ويمكن اعتبار الكتابين من أهم وأقدم الكتب المتوفرة التي تبحث عن فرق الشيعة . كما نلاحظ عن سعد القمي والنوبختي في تقسيمهما للفرق التي ظهرت بعد وفاة الرسول (ص) أنهما صنفاها إلى مرجئة ومعتزلة وخوارج وشيعة دون ذكر أهل السنة .لأنّ هذا المصطلح تأريخيا لم يتبلور بعد.

أما فرات بن إبراهيم الكوفي (من علماء القرن فينسب له تفسير معروف باسم تفسير فرات الكوفي يروي فيه عن شيخه الحسين بن سعيد الأهوازي صاحب الإمام الرضا مجموعة من الروايات ذات الصلة بالقرآن كانت عبارة عن (٧٧٧) حديثاً كمحاولة لايجاد مصادر خاصة بتفسير القرآن من مصادر الرواية الشيعية.

و يذكر محمد بن الحسن العياشي السمرقندي (ت٣٢٤هـ) في تفسيره الموسوم (بتفسير العياشي) أخباراً كالتي أوردها فرات، وتفسيره موجز أيضاً لكنه معبر ايضا عن الهدف وهو صناعة عقل شيعي له ادبياته الخاصة.

أما علي بن ابراهيم القمي (ت٣٢٤هـ) فيذكر في تفسيره (تفسير القمي) للآيات أخباراً تأريخية كذكر الغزوات التي شارك فيها الإمام عليّ كما يتكلم عن فضائله ويورد أخباراً متفرقة عن الأئمة كما ذكر الشيعة وفضلهم وهو في تفسيره يأخذ عن الأئمة وتفسيره أوسع من بقية التفاسير .

ولأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحق الكليني الرازي (ت٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ) كتاب الكافي الذي يعد من أكبر الأصول التي تعتمد عليها الشيعة في الحديث والفقه وتعد المعلومات التي يوردها الكليني في باب الحجة من أوسع المعلومات وقد أخذها من طرق مختلفة عن الأئمة وهو عند كلامه عن الإمامة يذكر الحاجة إلى الإمام، ومعرفة الإمام، وأهمية معرفة الإمام، وصفات الإمام وفضله وأنّ الإمامة عهد من

الله، ويذكر واجبات الإمام وما نزل من الآيات في الأئمة وحصر الإمامة في ولد علي بن أبي طالب ثم حصرها في أولاد الحسين ويأتي الكتاب هذا في ذات السياق المعرفي.

ويعطي النعماني محمد بن إبراهيم بن جعفر المعروف بابن أبي زينب (من علماء القرن الرابع) معلومات وافية عن الغيبة في كتابه (الغيبة) . وتظهر أهمية المعلومات التي يوردها النعماني لقرب اتصالها بعهد الغيبة فقد كان ممن ولد أيام الغيبة الصغرى وعاصر الكليني وكان كاتبه الذي كتب له الكافي من مقدمة كتاب ألفه سنة ٣٠٠هـ أي أيام المحنة، والمقصود بها اختفاء الإمام وحيرة الناس إلا القلة من الشيعة التي اعتقدت بإمامة الإمام الثاني عشر .[١٦]

تذكر مصادر الإمامية أنّ لعلي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ) صاحب تأريخ مروج الذهب كتاباً بعنوان (إثبات الوصية) وقد ذكره النجاشي في الرجال والعلامة الحلي في الرجال وآغا بزرك الطهراني في الذريعة ويسمي الكتاب (إثبات الإمامة لعلي) [١٧].

ويعطي محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ويلقب بالصدوق (ت٣٨١هـ) معلومات مفصلة عن الشيعة الإمامية في كتبه فيتناول في كتابه (صفات الشيعة) عشرات الصفات الكمالية مثل التوادد والتراحم والمحبة والاعتدال والعفة والحلم والعفو وقد اخرج لهذه الصفات سبعين حديثا، وفي هذا الكتاب يرغب الباحث أنّ يعزز التضامن الشيعي المطلوب إزاء التحديات الاجتماعية والسياسية التي واجهتهم. كما يتناول في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة) الكلام عن الغيبة بشيء من التفصيل فيبدأ بذكر الإمامة عند الشيعة ثم اختلافهم ويذكر الفرق المختلفة كالواقفة والجعفرية والقطعية كما يذكر الزيدية ويرد عليهم كما يرد على الإسماعيلية حتى ينتهي إلى تأكيد إمامة الإمام الثاني عشر، ثم يتناول الغيبة مع ذكر من غاب من الأنبياء ثم يذكر النصوص عن الإمام الثاني عشر، مبتدءاً بذكر الآيات التي تنص على إمامته ثم نص الرسول عليه ثم نص علي بن أبي طالب عليه ثم فاطمة الزهراء ثم نص بقية الأئمة

ويسير ابن بابويه القمي ت ٣٨١ هـ في (الخصال) أيضاً على طريقة البرقي في (المحاسن) فيذكر في أبواب كتابه في باب الإثني عشر أخبار الأئمة الاثني عشر ثم يذكر في باب الأربعين احتجاج علي بن أبي طالب على أبي بكر بخصال انفرد بها فيذكر منها حديث المنزلة، حديث الراية، المؤاخاة، غدير خم، الطائر المشوي، وكلها من أدلة الإمامة عند الشيعة، ثم يذكر في باب السبعين سبعين منقبة لعلي ثم يذكر أخبار الأئمة وعلومهم.

وفي كتابيه (المقنع والهداية) يتناول الأمور الفقهية إلاّ أنّه في الهداية يذكر باباً في الإمامة وآخر في التقية ليحدد أسلوب الممانعة إزاء طرفيها عدم التشدد والى جانبه عدم الذوبان في مجتمع السلطة.

وفي نهاية كتاب الهداية وصف القمي مذهب الإمامية بإيجاز .وفي (علل الشرائع) يتحدث عن أمور فقهية ثم يذكر أخباراً متفرقة عن الإمامة وعن الأئمة وعن وراثة علي النبي ويقصد بالوراثة الإمامة، ويتحدث في (الأمالي) عن أمور متفرقة فيتناول أحاديث في فضل علي بن أبي طالب ودلائل إمامته كحديث الراية وحديث المنزلة وحديث من كنت مولاه كما يصف حادثة الغدير، كما يتكلم عن حوادث تاريخية فيذكر أخبار موسى بن جعفر مع الرشيد وأخبار الرضا مع المأمون [١٨].ويتحدث محمد بن جرير ابن رستم الطبري (ت٤٠٠هـ) في كتابه (المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب) عن الإمامة واختلاف المسلمين بعد وفاة رسول الله (ص) ثم يبدأ بمناقشة أدلة إمامة علي بن أبي طالب كذكر حديث الغدير وحديث الراية والمنزلة ثم يؤكد أهمية الوصية وأنها لعلي بن أبي طالب كما ينفي الإمامة عن غيره ويعلل سبب قعوده عن طلبها. والكتاب يختص بإمامة علي فقط[١٩].

أما في كتابه (دلائل الإمامة) فيبحث عن وصية النبي (ص) وأخبار فاطمة الزهراء ثم أخبار علي بن أبي طالب وأخبار أولاده مع ترجمة لكل منهم وذكر دلائل إمامتهم [٢٠].

ويروي أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري (من رجال القرن الثالث) في كتابه (قرب الإسناد) أخباراً متفرقة عن الإمامة والتقية وعن بعض دلائل الإمامة عند الشيعة كحديث الغدير وأخباراً أخرى للأئمة عن الشيعة وصفاتهم [٢١] .

ويتحدث أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع) في كتابه (تحف العقول عن آل الرسول) عن مجموعة أقوال للرسول (ص) ولعلي ولبقية الأئمة [٢٢]. وللصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) رسالة عنوانها (الإبانة عن مذهب أهل العدل) ذكر فيها فضل علي بن أبي طالب وما خص به من الفضائل دون سواه واستحقاقه للإمامة

ومن جهة غير شيعية نجد كتاب (العثمانية) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) فهو في خلال كلامه عن العثمانية يذكر آراء الشيعة في الإمامة ومن ذلك قصة براءة وحديث المنزلة وحديث الطائر وحديث الغدير كما يذكر مجموعة من الآيات التي فسرتها الشيعة بإمامة علي بن أبي طالب .

ويعد من أكثر مصادر المعتزلة فائدة كتابات القاضي أبي الحسن عبد الجبار القاضي الهمداني (ت٤١٥هـ) فقد أورد في كتابه (شرح الأصول الخمسة) فصلاً عن الإمامة وعرض خلال كلامه على الإمامة آراء المعتزلة. وناقش رأي الشيعة الإمامية.

ومن خلال علم الرجال الذي يعد مقدمة لازمة للوثاقة في علم الحديث نجد تأسيسات مهمة للممانعة فيذكر أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت٤٠٥هـ) في كتابه (الرجال) رجال الشيعة. على حروف الهجاء. ولم يقتصر كتابه على ذكر الرجال فقط وإنما ذكر مؤلفاتهم فكان فهرسةً لكتاب الشيعة.

أما محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي (من أعلام القرن الرابع) فيذكر في كتابهِ (رجال الكشي) رجال الشيعة ويبدأ بإعطاء ترجمة لكل من سلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد .. وهو في كتابه لا يكتفي بذكر الرجال فقط وإنما يذكر معلومات متفرقة تتعلق بفرق الشيعة مثل الزيدية والبترية والقطعية والواقفة، كما يذكر الغلاة أيام علي بن محمد العسكري ومواجهتهم ولعنهم وعدم القبول بأفكارهم ثم يذكر الفقهاء في أيام الصادق وأيام موسى بن جعفر وأيام الرضا وأخباراً أخرى متفرقة.

هذه هي الفترة الأولى الممتدة من القرن الثالث إلى بداية القرن الخامس الهجري

أما الفترة الثانية فهي من عصر المفيد إلى الطوسي (٤٦٠هـ) ، ويعد الشيخ المفيد من الآباء المؤسسين لفكر الممانعة الشيعية، ففي كتاب (الإرشاد) للمفيد يذكر أخبار علي بن أبي طالب مع رسول الله (ص) ومشاركته الرسول في غزواته ثم وصية الرسول له ثم ذكر إمامته ودلائلها ثم أيام خلافته وحروبه، ثم يتناول حياة كل من أولاده الأئمة وأخبارهم وذكر أولادهم وصلتهم بخلفاء زمانهم ليرسخ المعادلة الصعبة في ممارسة المعارضة الفكرية دون الوقوع بالتشدد والتعصب وممارسات العنف وهو في الإرشاد يأخذ عن الكليني في عدة مواضع ويناقش الشيخ المفيد في (الإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب) مسألة الإمامة فيبحث معنى الإمامة وكيفية حصولها، ثم وجوب معرفة الإمام ثم يبحث إمامة علي بن أبي طالب ونفي إمامة من سبقه كما يذكر عدداً من الآيات التي اختصت بإمامة علي .

وفي (الأمالي) يسير الشيخ المفيد على طريقة الشيخ الصدوق في كتابه (الأمالي) حيث قسمه إلى مجالس ذكر فيها مسائل شتى في أخبار الأئمة والكلام على الإمامة واختصاصها بآل النبي وصفات الإمامة ومناقشة أدلة إمامة علي وبقية الأئمة كما يذكر ايضاً عدداً من الآيات ويفسرها بالإمامة .ويتناول المفيد عدة مسائل في كتابه (الفصول المختارة) وفيه عشرات المناظرات فيناقش المعتزلة في مسألة النص وتقسيمه كما يناقش لفظة مولى كما يذكر أخباراً للإمام موسى الكاظم وعلي الرضا مع الرشيد والمأمون ثم يتكلم عن أفضلية علي للخلافة كما يتكلم عن الغيبة .وللمفيد في الغيبة كتاب يسمى (الفصول العشرة في الغيبة) ناقش فيه مسألة الغيبة وإمكان حصولها وسبب ذلك كما رد على كل من خالف الإمامية وأنكر الغيبة وذلك كلّه بإيجاز .

وللمفيد رسائل نشرت بعنوان (رسائل المفيد) ومن هذه الرسائل (المسائل الجارودية) ويبحث فيها المفيد مسألة الإمامة واختلاف الإمامية والجارودية في الإمامة وآراءهم .ويتكلم المفيد في (أوائل المقالات) عن أصل التشيع وسبب تسمية الشيعة كما يتكلم عن الإمامة وصفات الإمام وولاية الأئمة من آل محمد وعن علومهم وعن عصمة الأئمة والتقيه ومسائل أخرى لها صلة بموضوعنا .وقد شرح المفيد (عقائد الصدوق)

أو (تصحيح الاعتقاد) فقد قدم معلومات نقدية مهمة لاراء الصدوق لاسيما عن التقية والرجعة والعصمة[٢٣].

وللشريف الرضي أيضاً (كتاب حقائق التأويل في متشابه التنزيل) ذكر فيه بعض الآيات وفسرها. فقد ذكر آية المباهلة وبين اختصاصها بعلي بن أبي طالب .ويتناول المرتضى في كتبه الأخرى بحث الإمامة من ذلك رسالته (في الأصول الاعتقادية) ، وقد بحث فيها الأصول الاعتقادية ومن ضمنها الإمامة والرسالة المختصرة .وأهم بحوثه في الإمامة ما أورده أخوه الشريف المرتضى في كتابه (الشافي في الإمامة) في الرد على القاضي عبد الجبار المعتزلي وما جاء في كتابه (المغني) لاسيما في باب العدل والتوحيد والجزء العشرين المخصص للإمامة . ويلاحظ تشابه آرائه مع بعض آراء المرتضى لأنهما يشتركان في خصيصة اصل العدل

وقد لخص الطوسي كتاب الشافي في الإمامة فجاء تلخيصه (تلخيص الشافي) كأصل الكتاب مع بعض الإضافات عليه. وفي آخر الكتاب المهدي و إمامة باقي الأئمة وأدلة إمامتهم والنص عليهم، وبحث في (الفهرست) مؤلفي الشيعة الإمامية وسار في ترتيب الفهرست على حروف الهجاء فذكر حوالي ٩٠٠ اسم من مصنفي الكتب .

أما في كتابه (الرجال) فيسير على طريقه البرقي فيذكر أصحاب رسول الله (ص) ثم أصحاب علي والحسن والحسين .. إلى أصحاب الإمام المهدي ، ثم يذكر رجال الشيعة الذين لم يرووا عن الأئمة وهو أحد الكتب المعول عليها في كتب الرجال . ويتناول الطوسي في كتابه (الغيبة) بحث الغيبة فيذكر سببها كما يتكلم عن الإمامة وعصمة الإمام وآراء بعض فرق الشيعة أمثال الكيسانية والواقفة والناموسية ثم يذكر أحكام الغيبة وأسبابها وإثبات إمامة الإمام الثاني عشر ثم يروي أخبار الخاصة والعامة في كون الأئمة إثنى عشر إماماً، كما يؤكد على كون المهدي من ولد الحسين ويذكر أيام الحسن العسكري وما حدث من الاختلاف في زمانهِ ثم الكلام عن أيام الغيبة .ويذكر الطوسي في (الأمالي) أخباراً متفرقة عن الأئمة وفضلهم وأخباراً عن الشيعة واحداثاً تاريخية للأئمة مع الخلفاء العباسيين كما يبحث دلائل الإمامة مثل حديث الراية والمنزلة والغدير. وقد سار الطوسي في كتابه هذا على طريقة الشيخ الصدوق والمفيد حيث قسمه إلى مجالس أيضاً.

وللطوسي كتاب (التبيان) وهو تفسير واسع للقرآن سار فيه على طريقة الشيعة الإمامية فتناول عدداً من الآيات فسرها بولاية علي وبقية الأئمة من ولده. وهذا التفسير يعد من أهم تفاسير الإمامية وأوسعها[٢٤].

أما محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت٥٨٨هـ) فيزودنا بمعلومات وافية عن الإمامية وعن حياة الأئمة الاثني عشر في كتابه : (مناقب آل أبي طالب) فيبدأ بأخبار الرسول ثم ينتقل إلى الإمامة

وشروطها والرد على الغلاة والخوارج ثم يتناول إمامة الأئمة الإثني عشر من طرق الشيعة وغير الشيعة .ويبحث ابن شهر آشوب في كتابه (معالم العلماء) مصنفي رجال الشيعة وأسماء كتبهم، وسار فيه على نهج الشيخ الطوسي ويمكن أنّ يعدّ الكتاب تتمة لكتاب الشيخ الطوسي فهو فهرست لكتب الشيعة [٢٥].

وتحدث أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) عن الأئمة الاثني عشر ودلائل إمامتهم في كتابه (أعلام الورى بأعلام الهدى) وقد سار فيه على طريقة الشيخ المفيد وابن شهر آشوب إذ تناول أخبار كل أمام وأحواله ومعجزاته ودلائل إمامته .أما في كتابه (الاحتجاج) فيذكر أخبار النبي (ص) ووقعة الغدير وأخبار علي واحتجاجه على أبي بكر في حقه بالخلافة ثم مسائل أخرى ويذكر كذلك أخبار بقية الأئمة واحتجاجاتهم في مسائل مختلفة كالإمامة وغيرها . وللطبرسي ايضاً تفسير (مجمع البيان في تفسير القرآن) سار فيه على طريقة المفسرين الإمامية الذين سبقوه أمثال علي بن إبراهيم القمي والعياشي والطوسي، والتفسير موسع فسر بعض الآيات الواردة فيه بالإمامة كما ذكر نزول بعض الآيات في حق آل البيت [٢٦].

أما في كتاب (الملاحم والفتن) فيذكر ابن طاووس أنّه أخذ معلوماته عن كتاب الفتن لنعيم بن حماد الخزاعي، وكتاب الفتن لأبي صالح السليلي، وكتاب الفتن لأبي يحيى زكريا بن يحيى بن الحارث البزاز [٢٧].

ولمحمد بن محمد بن نصير الملة الطوسي (ت٦٧٢هـ) كتاب صغير باسم : (فصول العقائد) يبحث في عقائد الشيعة وفيه باب عن الإمامة.

ولجمال الدين الحسن بن يوسف المعروف بالعلامة الحلي (ت٧٢٦هـ) بحوث في الإمامة عند الشيعة الإمامية يتناول فيها نظرية الإمامة كما يبحث دلائلها .وله في هذا الباب كتاب (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) يبدأ فيه بذكر مزايا الإمامة وشروطها ووجوبها ثم يبحث أدلة الإمامة وتقسيمها إلى عدة أصناف منها العقلية ومنها المستمدة من حياة علي ومنها ما نص عليه القرآن والحديث النبوي ثم يذكر إمامة باقي الأئمة باختصار .

أما في (الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) فيبحث الحلي ألفي دليل على إمامة علي وهو يتناول هنا نظرية الإمامية فيذكر أنّ الإمامة لطف من الله ثم يذكر وجوبها وكيفية نصب الإمام ثم يناقش من خالف الإمامية الرأي في الإمامة ثم يتكلم عن إمامة الأئمة وعصمتهم ويناقش الإمامة عن طريق عصمة الأئمة .ويبحث في كتابه (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد) الإمامة فيتناول إمامة علي ودلائلها ثم إمامة بقية الأئمة ثم يتكلم عن العصمة وصفات الإمام .وله كتاب في الرجال (رجال

العلامة الحلي) وقد قسم هذا الكتاب إلى أبواب في ذكر رجال الشيعة وذكر أخباراً متفرقة عن الشيعة وسار على النسق الهجائي، كما أكثر من الرواية عن النجاشي والكشي .

ويتناول الشيخ حسن بن سليمان الحلي (من علماء أوائل القرن التاسع) في كتابه : (مختصر بصائر الدرجات) أموراً متفرقة عن الإمامة والرجعة والتقية وأخبار الأئمة وذكر إمامتهم .كما كتب (الفصول المهمة لمعرفة أحوال الأئمة) ذكر فيه شدقم الحسيني أخباراً عن الأئمة وإمامتهم .

و كتب المجلسي (ت١١١١هـ) كتاب (بحار الأنوار) ويعد هذا الكتاب موسوعة جمع فيه مؤلفه أخباراً وأحاديث من مصادر متعددة ، ويبدو أنّ بعض المصادر التي أخذ منها قد ضاعت فجاء ببعض أخبارها أما الآن فلا نجدها في النسخ المطبوعة .ومن المتأخرين محمد حسن المظفر في (دلائل الصدق) الذي ذكر أموراً فقهية وخصص قسماً من كتابه لبحث الإمامة وشروطها وعصمة الإمام كما تناول دلائل الإمامة .

مما تقدم فأنّ الإشكالية التي كانت حاضرة في التصنيف العلمي الشيعي هي قضية الإمامة والغيبة التي كانت محلا للجدل والسجال الفكري والتي تعد البنية التحتية لتنظيرات الممانعة لأنّ الامامة تعني ركن مهم في وجود قائد ملهم يحدد الموقف من المتغيرات وأنّ الغيبة تقتضي تغيرا في المعادلة التأريخية ونشوء مفهوم الانتظار

و يؤشر على التراث الشيعي المبكر ندرة ما كتب في تأريخ الشيعة لانشغالهم بتلك الإشكالية ويؤشر على تلك المراجع أنها على أنواع فمنها ما هو إحتجاجي ومنها ما هو تبجيلي مناقبي ومنها ما هو خلافي.وقليل منها ماهو مهتم ببناء نظرية الممانعة الشيعية

المطلب الثالث : قراءة المؤرخين للممانعة الشيعية :

لقد شغل التشيع المؤرخين لأنّ الشيعة كانوا يعبرون باستمرار عن نظريتهم السياسية ومنظومتهم العقائدية، وشهد تاريخ القرون الخمسة الأولى مجموعة صراعات بين السلطة وأتباع أهل البيت لكن هؤلاء المؤرخين لم يقرأوا الممانعة الشيعية إزاء التطرف الذي كان بقدر ممانعتهم للذوبان في مجتمع السلطة انذاك ،وتأتي معلوماتنا التاريخية الأولى عن رواد الكتابة التاريخية الاوائل ومنهم أبو مخنف لوط بن يحيى (ت١٧٠هـ) وقد بدأ بتدوين بعض الاحداث بكتب مفردة كانت تبدو فيها ميوله الشيعية ويمكن ملاحظة ذلك في حديثه عن مقتل المختار ،وتعد معلوماته ذات قيمة لأنها أصبحت مادة للمؤرخين فيما بعد وبالأخص البلاذري والطبري وهي موثوق بها عند الشيعة الإمامية حيث ورد ذكره في كتب الرجال فقد ذكره الطوسي في رجاله لكنه قد توفر على تدوين الحدث دون الإشارة للممانعة النفسية والسياسية للاندماج ولا للتطرف بيد أنّه يمكن التأسيس عليها.

ومنهم صاحب الطبقات الكبير محمد بن سعد الواقدي (ت٢٣٠هـ) فقد ترجم لعلي من أبي طالب ولمحمد بن الحنفية وعلي بن الحسين وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وغيرهم. وأهمية كتاب الطبقات ترجع لقدم فترته ويلاحظ أنّه لم يترجم للحسن ولا للحسين ولم يحلل الاحداث التي ذكرها بكتابه ومن المؤرخين الأوائل الذين تناولوا الشيعة أبو حنيفة الدينوري (ت٢٨٢ هـ) في كتابه (الأخبار الطوال) فبالرغم من الإيجاز في الكتاب، فقد أورد معلومات وافية عن خلافة علي بن أبي طالب وحرب الجمل وصفين، كما ذكر أخبار الحسن بن علي وتنازله، ثم ذكر أخبار المختار بن عبيد الثقفي بشيء من التفصيل[٢٨] . ولم يشر أيضاً للممانعة الشيعية.

ويعطي أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت٢٧٩هـ) في كتابه (أنساب الأشراف) معلومات مفصلة عن الشيعة فيبدأ بذكر أخبار علي بن أبي طالب مع النبي (ص) ويروي حديث المؤاخاة، وحديث الراية يوم خيبر ، وحديث الغدير لما لهذا الحديث من أهمية عند الشيعة فقد رواه البلاذري بالرغم من أنّه لم يكن شيعياً ، ويبدو أنّ أخباره موثقة عند الشيعة كما يبدو من قول المرتضى في (الشافي) [٢٩].

ويعد أحمد بن يعقوب بن أبي جعفر بن وهب بن واضح الكاتب الإخباري (المشهور باليعقوبي) المتوفي سنة ٢٨٢هـ صاحب معلومات مهمة عن تاريخ الشيعة، فهو مؤرخ لم يستطع أنّ يخفي ميوله العلوية في كتاباته إلاّ أنّه كان معتدلاً و روى أخبار علي بن أبي طالب مع الرسول وأكد حديث الغدير بعد حجة الوداع وبيّن أهميته بالنسبة لاعتقاد الشيعة الإمامية[٣٠].وغابت عنه الاشارة الى القوة الذاتية للعقل الشيعي

أما محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) فيزودنا بتاريخه (الرسل والملوك) بمعلومات عن نشأة الشيعة وتطورها وتمتاز معلوماته بأنّها مأخوذة من مصادر متعددة ويروي الحوادث بشيء من التفصيل. وواضح أنّ الطبري كان شافعياً ثم أسس مذهباً خاصاً به تبعه عليه بعض العلماء ظهر في كتاباته ومع أنّه لا يعطي رأيه في الأحداث التي يرويها إلا أنّه انتقى من الروايات الكثيرة التي توفرت له مايشعر بميوله الرافضة لسلطة القوة . وقد روى أخبار علي مع النبي (ص) وذكر خبر المؤاخاة ، وحديث الراية وحديث المنزلة، كما ذكر خبر حجة الوداع ،إلا أنّه لم يذكر حديث الموالاة أو حديث الغدير مع العلم أنّ المصادر الإمامية تذكر أنّ له كتاباً حول غدير خم فُقد بسبب الظروف التي مرّ بها. ويبدو أنّ الطبري يهتم اهتماماً كبيراً بالثورات فقد اعطى لثورة الحسين اهتماما كبيراً وشرحها بالتفصيل معتمداً في روايته على أبي مخنف بيد أنّه توقف عند تخوم رواية الحدث دون الافادة منه في الاشارة الى الممانعة

ومنهم مؤلف كتاب (الزينة في الكلمات الإسلامية) الرازي المتوفي سنة ٣٢٢هـ الذي بسط الكلام عن الشيعة فذكر أصل لفظ التشيع ثم تكلم عن الرافضة ومعناها كما تحدث عن فرق الشيعة وهو في ذلك لا يختلف عما ذكره النوبختي وسعد القمي إلاّ فيما يتصل بالإسماعيلية فقد ذكر فضائلهم بشكل إيحائي

لكن مهما يحاول الرازي أنّ لا يفصح عن كونه إسماعيلياً إلا أنّ أسلوبه دل عليه، ومن المتقدمين أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ) في كتابه (دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضاء والأحكام عن أهل بيت رسول الله (ص) إذ أفاض في ولاية علي بن أبي طالب مستدلاً بأحاديث عن الرسول كحديث المنزلة وحديث الغدير، ثم ذكر ولاية الأئمة عامة وأخبار جعفر بن محمد الصادق ثم توقف عن ذكر بقية الأئمة لأنّ الإسماعيلية لا يعترفون بإمامة موسى الكاظم والأئمة الذين بعده . ثم يذكر شيئاً عن صفات الأئمة ووصاياهم وأخبارهم وتوفر على الأخبار في حركة التوابين والمختار وتتشابه معلوماته مع معلومات البلاذري في هذه الفترة [٣١].

أما مطهر بن طاهر المقدسي (ت٣٥٥هـ) فيورد في كتابه (البدء والتأريخ) معلومات عن صفة النبي وأخباره وأخبار الصحابة أمثال سلمان الفارسي وأبي ذر وعمار بن ياسر [٣٢]ويلاحظ أنّ المقدسي يخلط بين فرق الشيعة وغيرهم ، ومعلوماته في هذا الباب تختلف عن كتّاب الفرق فهو يدخل الغلاة ضمن فرق الشيعة، ثم يذكر فرقاً هي عند مؤرخي فرق الشيعة من الغلاة كالسبأية والغرابية وغيرهم ويجعلهم فرقاً قائمة بذاتها. وحين يتحدث عن هذه الفرق يتكلم عن الإمامية ثم يتكلم عن الزيدية وعن المغيرية والبزيعية والقطعية والواقفة وحينما يعدد أصناف الزيدية لا يذكر إلا الجارودية ومع ذلك فهو من المصادر التاريخية المهمة التي نقل عنها المتأخرون نصوصاً كثيرة جداً

ويذكر أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ) في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) الشيعة ويقسمهم إلى ثلاث فرق ويدمج معهم الغلاة ويقسمهم إلى خمس عشرة فرقة ثم الرافضة ويقسمهم إلى أربع وعشرين فرقة ويدخل فيهم الكيسانية.ثم يذكر الزيدية ويقسمهم إلى ثلاثة أصناف الجارودية والبترية والسليمانية ومعلوم أنّ الرجل غير افكاره ونظرياته خوفا من الحنابلة، ومنهم أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) صاحب السنن إذ له كتاب (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) ذكر في هذا الكتاب فضائل علي وما خص به من دون الصحابة من الفضائل فذكر حديث المنزلة والمؤاخاة وقصة براءة وحديث (من كنت مولاه) وأحاديث أخرى غيرها إلا أنّه في ذكره لحديث الموالاة لا يفسر هذا الحديث في الإمامة كما تفسره الشيعة، وإنما اكتفى بذكره فقط ومع ذلك تعرض للاعتداء في الشام كما ينص على ذلك في سير أعلام النبلاء.

أما أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ) فيعطي في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) أخبار علي بن أبي طالب والأحداث في عهده ولكنها أخبار مختصرة ، ويمتاز المسعودي بأنه ينفرد بذكر أخبار لا ترد عند بقية المؤرخين ، كما أنّه يتكلم عن الفرق فهو يتحدث عن فرق الكيسانية وأصلها ويتحدث عن الزيدية ويذكر فرقهم ثم يتكلم عن الشيعة الإمامية ويذكر بعض فرقهم كما يذكر

أخبار الأئمة الاثني عشر حتى يصل إلى ذكر الإمام الثاني عشر ، وفي كتابه (التنبيه والإشراف) تناول المسعودي ظهور الإسلام وحياة الرسول والخلفاء وأخبار العلويين وثورات أبناء الحسن إلا أنّ الأخبار مختصرة ولكنه يأتي بمعلومات لا توجد في كتب التواريخ، كما يتحدث عن الفرق مثل الشيعة الإمامية ورأيهم في الإمامة [٣٣]

ويعطي أبو الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـ) معلومات وافية ومفصلة عن آل أبي طالب ومن قتل منهم في كتابه (مقاتل الطالبين) وقد قسم الاصفهاني كتابه إلى أقسام ذكر منها من قتل من آل أبي طالب في بدء الإسلام ثم من قتل منهم في أيام الدولة الأموية وأيام الدولة العباسية، وهو في ذكر هذه الأخبار لا يقتصر على ذكر مقاتل آل أبي طالب وإنّما يورد ترجمة لكل من قتل منهم مع ذكر أخباره ونسبه وسبب قتله [٣٤]

وترجم أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) صاحب (حلية الأولياء) للأئمة وذكر أخبارهم وروى أحاديث عنهم.ويعد كتابه من المصادر المهمة

وتكلم ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) في كتابه (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) عن الإمام علي، وذكر حديث المؤاخاة وحديث المنزلة وحديث الغدير وذكر فضائل ومناقب أخرى للإمام علي .

يذكر أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني (ت٤٠٣هـ) في كتابه (التمهيد في الرد على الملاحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) إمامة علي بن أبي طالب ويورد أحاديث للرسول في فضل علي وينفي أنّ يكون حديث الغدير دليلاً على إمامة علي ويرد على الشيعة في مسائل أخرى .

يتحدث عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي (٤٢٩هـ) في كتابه (الفرق بين الفرق) عن الشيعة فيذكر أنّ الشيعة ثلاث فرق ويطلق كلمة رافضة على كل الشيعة وعنده أنّ الشيعة هم الإمامية والزيدية والكيسانية، ويقسم الكيسانية إلى فرقتين ثم يقسم الإمامية إلى خمس عشرة فرقة ولكنه يدخل معهم الغلاة رغم أنّه يخصص فصلاً للغلاة.

أبو المظفر الاسفراييني (ت٤٧١هـ) في (التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين) يتكلّم عن الشيعة وفرقهم وهو لا يختلف عن البغدادي في تقسيمه إلا قليلاً، كما أنّه يعطي رأيه في الأحداث ويرد على الشيعة وعلى بقية الفرق لأنه يرى أنّ الفرقة الناجية هم أهل السنة والحديث .

ويتكلم عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) في كتابه (الملل والنحل) عن الشيعة فيتحدث عن الزيدية والكيسانية والأمامية وفرقهم والغلاة ثم يذكر عدداً من رجال الشيعة ومصنفي كتبهم .

ومنهم أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد البكري المالكي المعروف بأخطب خوارزم (ت٥٦٨هـ) في كتابه (المناقب) فيورد أخباراً عن علي ابن أبي طالب إذ يذكر اسمه ونسبه وإسلامه وصلته بالرسول

وأحاديث في فضله وبيان أنّه أفضل الأصحاب وأقرب الناس إلى الرسول (ص) ويذكر حديث المنزلة وسورة براءة وحديث الغدير إلاّ أنّه أيضاً لا يفسره في الإمامة .ويستهل الخوارزمي كتابه (مقتل الحسين) بذكر النبي وفضائله ثم ذكر فضائل فاطمة وآل البيت وفضائل علي والحسن والحسين، ثم ذكر الحسين منفرداً فيبدأ بذكر قصة مقتله وما جرى فيها من الحوادث وما قيل فيه من المراثي ثم ذكر أخبار المختار وانتقامه من قتلة الحسين .

أما فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) فيذكر في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) الشيعة ويسميهم الروافض ويطلق هذا الاسم عامة، ويعطي للفرق التقسيم نفسه الذي ذكره البغدادي والاسفراييني إلاّ أنّه لا يفصل في كلامه. إنّما يكتفي بتعريف كل فرقة من فرق الشيعة [٣٥].

وقد تأثر بهذا المنهج من جاء بعدهم وكمثال على ذلك مؤلّف عثمان بن عبد الله بن الحسن الحنفي العراقي (من القرن السابع) المسمى (الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة) عن فرق الشيعة المختلفة وأطلق لفظة الروافض على جميع الشيعة .

وذكر ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) في (أسد الغابة في معرفة الصحابة) أخبار علي بن أبي طالب فذكر حديث الثقلين وحديث الراية يوم خيبر وقصة مبيت علي على فراش الرسول (ص) وحديث الغدير.

يلاحظ أنّ ابن الاثير في أسد الغابة يذكر قصة غدير خم بينما لا يذكرها في الكامل في التاريخ .

يعطي محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي (ت٦٥٢هـ) في كتابه (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول) معلومات وافية عن علي بن أبي طالب وأولاده الأئمة الاثني عشر فيبدأ بذكر أخبار علي مع النبي وقصة المؤاخاة وأخباره في الغزوات وصفاته وجملة من خطبه ثم عدد أولاده.

ويذكر أبو المظفر يوسف شمس الدين الملقب بسبط أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٦٥٤هـ) في كتابه (تذكرة الخواص) أخبار علي بن أبي طالب مع النبي وخلافته ووقعتي الجمل وصفين كما يذكر صلح الحسن وأخباره مع معاوية ثم يترجم لكل من الأئمة الإثني عشر ويروي حوادث تأريخية فيأخذ عن الطبري والمسعودي، وتثق الشيعة بأحاديث سبط ابن الجوزي لأنّ أحاديثه تتشابه مع الشيعة لاسيما في تأكيده على حديث الغدير .

يتناول محمد بن يوسف بن محمد النوفلي القرشي الكنجي الشافعي (ت٦٥٨هـ) في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان) الكلام عن الإمام المهدي فيذكر خروجه في آخر الزمان وكونه من ولد فاطمة وكون المهدي من ولد الحسين كما بشر النبي (ص)، وأخبار خروجه ووصف زمانه

يذكر محب الدين عبد الله الطبري (ت٦٩٤هـ) في كتابه (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى) أخبار النبي (ص) وذكر فضل قرابته ثم ذكر أخبار علي بن أبي طالب وآيات نزلت في آل البيت ثم ذكر فضل

الحسن والحسين وتحدث عن مقتل الحسين وأورد أخباراً أخرى تتعلق بآل أبي طالب وآل العباس ومنزلة قرابتهم من النبي (ص) .

أبو الفداء (ت٧٣٢هـ) يذكر في كتابه (المختصر في أخبار البشر) خلاصة عن ما أورده من سبقه من المؤرخين، يعطي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) في كتابه (تاريخ الإسلام) تراجم للصحابة ويذكر بعض الأخبار التي تهتم بها الشيعة كذكر حادثة الغدير وغيرها من الحوادث ويأخذ عن الطبري .

ويسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في كتابه (البداية والنهاية في التأريخ) على طريقة الطبري وابن الأثير في روايته للأحداث ويأخذ عن الذهبي في بعض الروايات .

أما ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) فإنّه سار على طريق يختلف عن بقية المؤرخين فهو لا يكتفي بسرد الحوادث وإنما يحاول أنّ يجد فلسفة وأسباباً للأحداث فيذكر في مقدمة كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) الشيعة وبداية ظهورهم وسبب ظهور الفرق ثم يورد في العبر الأخبار الواردة عند المؤرخين .

وأحسن ما كتبه المقريزي (ت٨٤٥هـ) في بحث الشيعة كتابه (النزاع والتخاصم فيما بين أمية وهاشم) فقد ذكر العلاقة بين هاشم وأمية والعداء بينهما ومن قتل من بني هاشم أيام بني أمية[٣٦] .

ذكر ابن حجر العسقلاني (ت٧٥٢هـ) في (الإصابة في معرفة الصحابة) إخبار علي بن أبي طالب ومناقبه ومنها حديث المنزلة، وحديث الراية يوم خيبر وحديث المباهلة .

ويتناول السيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه (تاريخ الخلفاء) فيتناول أخبار كل خليفة وتاريخ الشيعة وأخبارهم مع الأمويين والعباسيين .

ويعطي علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ (ت٨٥٥هـ) وصفا للشيعة ونبذة عن حياة علي بن أبي طالب وأخباره مع النبي (ص) ثم حياة الأئمة االشيعة. وذكر أخبارهم في (الفصول المهمة في معرفة الأئمة)، ويأخذ ابن الصباغ عن القرشي في مطالب السؤول والكنجي في كفاية الطالب . ويذكر حديث الغدير ويفسر معانيه إلا أنّه لا يفسره بالإمامة كما تعتقد الشيعة .

لشمس الدين محمد بن طولون (ت٩٥٣هـ) كتاب عن (الأئمة الاثني عشر) وسماه بـ (الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند المختار). ويبدأ بذكر علي بن أبي طالب فيذكر زمن ولادته وأخباره ووفاته وينتهي بذكر أخبار الإمام الثاني عشر .

في (كنز العمال) للمتقي الهندي (ت٩٧٥هـ) وكتاب (ينابيع المودة) للحنفي (ت١٢٧٠هـ) وكتاب (نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار) نجد ما هو مسموح بتدوينه.

يتحدث شاه عبد العزيز الدهلوي (ت١٢٣٩هـ) في كتابه (مختصر التحفة الاثني عشرية) عن أصول الشيعة وبيان مذاهبهم ورواة أخبارهم وعقائدهم في النبوة والإمامة وصفة الإمام وعصمته وفي ذكر فرقهم. ويبدو أنّه ألف الكتاب في وقت شاع فيه المذهب الاثني عشري كما في قوله في مقدمة كتابه (أنّ البلاد التي نحن بها ساكنون راج فيها مذهب الاثني عشرية حتى قل بيت من أمصارهم لم يتمذهب بهذا المذهب) .

والخلاصة أنّ قراءة المؤرخين للتشيع كانت عند أغلبهم متاثرة بالسلطة والصراع التأريخي فلم نظفر منهم بالحقائق الاساسية ولا التحليلات المهمة لطبيعة الصراع بين التطلعات الشيعية لبناء دولة تتمتع بالمشروعية مقابل ما ساد من الفكر الاستبدادي وبالحوار والتفاهم مقابل ما ساد من سلوك.

المطلب الرابع: تطور التراث الشيعي من المشافهة إلى التصنيف :

لا يختلف باحثان على أنّ العرب – إبان النزول القرآني – كانوا أمة أمية تعتمد على ذاكرتها وروايتها للشعر والأنساب [٣٧] وقد دوّن الرسول (ص) القرآن الكريم عن طريق كتّاب الوحي وشجع (ص) على تعلم الكتابة .واختلف أهل العلم في مدى رغبته في تدوين السنّة على قولين :

القول الأول إنّه أراد حفظ أقواله وأفعاله وتقييدها

والثاني أنّه (ص) منع من تدوين الحديث لئلا يختلط بالقرآن [٣٨]

وقد رجح كثير من الباحثين القول الأول لأنّ الآية الأولى بالقرآن كانت مبدوءة بـ (إقرأ) وأن الله تعالى أقسم بالقلم في (ن والقلم) وأمر الله بكتابة الدين، ويستدلون أيضاً بأن عدداً من الصحابة كانت لديهم صحف [٣٩] إلاّ أنّ سياسة الدولة في زمن عمر بن الخطاب اعتمدت قول المانعين، فتوقف الناس عن كتابة الحديث وتدوين التاريخ والفقه، ويشكك مؤرخو الشيعة بأهداف القرار المعلنة ويرون أنّ له مرامي آخر .وبالنسبة للأئمة من آل البيت فقد نقل الرواة عنهم أنهم كانوا يرغّبون بالكتابة [٤٠] وكان أصحابهم يكتبون في ظل ظروف شديدة الصعوبة ومنهم أبو رافع وأولاده علي وعبد الله [٤١] ،وكان الظرف لا يشجع على التدوين للحظر الرسمي عامة، وللخوف من كتابة علوم آل البيت .فقد أشار ابن النديم والطوسي في الفهرست [٤٢] إلى أصول ومدونات ظهرت في النصف الأول من القرن الثاني، فبإمكاننا أنّ نعد ما قبله وإن ظهر مدونة المدونات البسيطة إلا أنّه ليس ظاهرة عامة فقد كان (عصر المشافهة في نقل التراث)، وكان المكتوب في هذه الفترة عفوياً وتطلعاً شخصياً، أما بعد النصف الثاني فقد بدأ التدوين العام للحديث والسيرة والتأريخ وكان هشام بن الحكم (١٧٨هـ) ويونس بن عبد الرحمن ممن يرد ذكرهما كأبرز المدونين وابن اسحق في كتابه السيرة النبوية ولوط بن يحيى (١٥٧هـ) في كتبه (مقتل الحسين) ، وكتاب (الردة) و(الفتوح) وكتاب (الجمل وصفين) ، وإبان بن تغلب (ت١٤١هـ) الذي كتب عن صفين والجمل

والنهروان، وليث المرادي وعلي بن ابراهيم وهشام بن سالم واحمد بن محمد البزنطي، وآل زرارة وكلهم من مؤلفي القرن الثاني .

لقد أحصى الحر العاملي مدونات أصحاب الإمام الصادق فوجد المشار إليه في كتب الفهارس (٦٦٠٠) كتاب [٤٣] إلا أنّ الذي اشتهر كان أربعمائة مدونة . وكان فيهم شيعة إمامية وزيدية وقد ذكر محقق كتاب (الضعفاء) للغضائري أنّ لدى الغضائري كتاب جامع لأسماء الكتب المصنفة لدى الشيعة ذكره الطوسي، وكتاب جامع لأسماء الأصول المعتمدة .واستمر التدوين حتى أوائل القرن الخامس، كان الطوسي قد أحصى كتب رجال الإمامية من عصر النبوة حتى عصر المفيد (٤١٣هـ) فكانت (٨٨٨) كلهم من أصحاب الأئمة [٤٤] ويقال أنّ أول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي (المختلف في نسبته) إذ لم يروه غير إبان بن أبي عياش[٤٥] وذكر النجاشي أنّ لأصحاب الأئمة (١٢٦٩) كتابا، لم يصلنا منها إلا نزر يسير .والذي يلفت النظر أنّ أغلب المدونات كانت تدور حول القضايا العقائدية فابن قبة مثلاً يكتب كتابا اسمه (الإنصاف في الإمامة) [٤٦] ، ونجد أنّ إسماعيل بن علي بن نوبخت يكتب كتاباً اسمه (الاستيفاء في الإمامة) و (الرد على الغلاة) وقد ألّف علي بن إسماعيل بن ميثم التمار كتابين هما (الإمامة) و (كتاب الاستحقاق) [٤٧] ويذكر لهشام بن الحكم عدد من المدونات منها ايضاً كتاب في (الإمامة) و (الرد على من قال بإمامة المفضول) وكتاب (اختلاف الناس في الإمامة) و (الرد على المعتزلة في طلحة والزبير) [٤٨] .

وهنا نلحظ أنّ الترابط في الفكر الشيعي بين الامامة كركن مهم من أركان الايديولوجيا الشيعية مقترن بمواجهة الغلو فيهم ولو كان الفكر الشيعي غير وسطي وغير ممانع للاصوليات العنيفة لغض النظر عن ظاهرة الغلو في مقابل الهدر الرسمي للاعتبار العقائدي والاجتماعي للشيعة بعد اهدار الاعتبار السياسي كما يلاحظ التداخل بين التشكل العقائدي ومجريات الحدث التاريخي ويذكر المؤرخون مدوناً كبيراً هو إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي (ت٢٨٣هـ) قد ألّف (٣٢) كتاباً منها كتاب أخبار المختار وعلاقته بالمهدوية، والسقيفة وقوة سلطة المجتمع، وفدك ومقتل عثمان والاضطراب النفسي والفكري ، وبيعة علي ومفهوم الاستثناء عما قبله، والجمل، وصفين، والحكمين، ورسائل الإمام علي، وأخبار الحسن، ومقتل الحسين والتوابون، وأخبار زيد، وأخبار ذي النفس الزكية [٤٩]. ويؤسس لك هذا المسار انتقالات خطيرة في العقل الشيعي وآراء ومفاهيم اسسته أحداث النصف قرن الأول بعد وفاة النبي(ص).

ومن المصادر المبكرة كتاب المحاسن أحمد بن محمد البرقي (٢٨٠هـ) وكذلك قرب الإسناد لعبد الله بن جعفر الحميري (ق٣هـ) وكتاب بصائر الدرجات محمد بن الحسن الصفار القمي (٢٩٠هـ)، لقد كانت هذه العينات مهمة لنقل النصوص وسردها وتكاد تخلو حتى من التعليقات الضمنية وأشير هنا إلى كتاب مهم

ظهر للقاضي أبي حنيفة النعمان المغربي الاسماعيلي (٣٦٣هـ) الذي أسماه دعائم الإسلام، فعلى الرغم من أنّه من الإسماعيلية إلا أنّ الكتاب يعد من مراجع الكتب الشيعية عند الإمامية للقدر المشترك بين الاتجاهين داخل التفكير الشيعي

أنّ التطور المهم هو الذي حصل مع الصدوق الأول (٣٢٩هـ) في رسالة الشرائع أنّه قدم النصوص على شكل فتاوى بلا أسانيد، وفي كتابهِ (الإمامة) تحدث عن أزمة الشيعة إبان الغيبة وهنا يخرج التدوين الشيعي من السرد الروائي إلى تحليل الرواية ويسجل له لاسيما مع المقارنة بينه وبين الكليني (٣٢٩هـ) في ترتيب كتاب الكافي، لقد كانت الفترة الأولى من (٥٠هـ – ٩٥هـ) ، فترة اضطهاد وملاحقة شديدة الاثر في تكون المفاهيم ومع الاسف لم تظهر فيها كتابات شيعية أو في تحليلهم للروايات عن الإمام الحسن، ومادونه المؤرخون من أحداث كربلاء وخطب المعركة، وما جرى للتوابين والمختار وزيد وابنه يحيى وما كتب عن هذه الأحداث كان يجري مجرى الاخبار .

فلما ارتفع الحظر الرسمي إبان عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز تولى الباقر بنفسه نشر علومهم ورغب في إملائها على أصحابه الذين دونوها في صحائفهم، وظهرت الرسائل المرسلة للأئمة والردود المكتوبة منهم، وقد روى الكليني (١٥) حديثاً في باب (رواية الكتب والحديث) منها قول الصادق (احتفظوا بكتبكم فأنكم سوف تحتاجون إليها) [٥٠] ويفسره مؤرخو الشيعة بأنها وصية للشيعة في انهم سيمرون بظروف أصعب لا يلتقون بالإمام وعليهم عند ذاك الرجوع إلى ما كتبوه في صحفهم، وقد ذكر النجاشي أسماء ما يقرب من ألف ومئتي راو من أصحاب الأئمة وأشار إلى ما ألفوه من كتب [٥١] وقسّمهم إلى ثلاث طبقات، وذكر المؤرخون أنّ أربعة آلاف شيخ كانوا يتلقون الرواية عن الصادق [٥٢] وقد بادر بعض أصحاب الإمام الرضا إلى جمع الموجود، فكانت أربعمائة أصل لأربعمائة مؤلف [٥٣] وفي عصر (السفراء) الأربعة ظهر كتاب الكافي للكليني وهو كتاب انتقل فيه من التدوين إلى التصنيف (تبويب الموضوعات) وبعد نصف قرن ظهر كتاب الصدوق (ت٣٨١هـ) الموسوم (من لا يحضره الفقيه) ثم بعد نصف قرن آخر كان الطوسي (٤٦٠هـ) قد أخرج للشيعة كتابين في الرواية هما التهذيب وهو مستند المقنعة، والاستبصار وهو محاولة في جمع المتوهم تعارضه. وهكذا ظهر مصطلح ((الكتب الأربعة)) عند الشيعة مقابل ما يطلق عليه الصحاح الستة عند بقية المذاهب، وقد وجد الرجاليون من المذاهب الأخرى انتشار التشيع بين رواة الحديث من التابعين وأتباعهم فكانوا بين صعوبتين إحديهما قولهم بعدم مقبولية رواية المتشيع – حتى في نطاقهِ السياسي – وما يؤديه هذا القول من ضياع الحديث وبين الاعتراف بالدور العلمي والروائي للرواة الشيعة كم في صحيح مسلم ، وفي ذلك يقول الذهبي (فهذا التشيع قد كثر في التابعين وأتباعهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهبت جملة الآثار

النبوية)[٥٤] وينص ابن حجر في الصواعق على أنّ كبار رجالات الحديث مثل يحيى بن سعيد، وعبد الملك بن جريج، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبه و أيوب السجستاني كانوا يتلقون الحديث من واحد من الإمامين الباقر والصادق (ع) [٥٥] ومن هذا يتبين أنهم على الرغم مما لاقوه فقد كان اسهامهم في بناء المعرفة اسهاما متميزا وعقلانيا وبعيدا عن التعصب والتشدد غير المنطقي.

لقد كانت الكتب الأربعة مترتبة زمنياً فقد ظهر الكافي في مطلع القرن الرابع إذ وفاة الكليني (٣٢٩هـ) وظهر كتاب الفقيه في أواخر ذلك القرن إذ وفاة الصدوق (٣٨١هـ) وبعد النصف الأول من القرن الخامس كان التهذيب والاستبصار للطوسي، وعندي أنّ المراجع الأربعة للحديث الشيعي كانت المرحلة الثالثة التي هي مرحلة التصنيف بعد مرحلتي المشافهة والتدوين ، على الرغم من التضييق على المشافهات ومنع التدوين وتتجلى الممانعة الشيعية في أنّ أكثر من أربعة قرون مضت على انتشار الكتب الأربعة واعتمادها كأصول مرجعية فلم يزعم أحد أنها كتب صحاح، كما هو حال بعض المدارس الحديثية الأخرى ، بل أنّه وخلال القرن السابع قام العلامة الحلي، والسيد ابن طاووس بإدخال التقسيم الرباعي للحديث إلى (صحيح – وحسن – وموثق – وضعيف) [٥٦] وجعلا القيمة التوثيقية لكل ما موجود في الكتب الأربعة مبنية على هذا المعيار الذي أجهدا نفسيهما في التفكير به واكتشافه وتوصيفه، ومعلوم أنّه قد أدى تطبيق هذا المعيار إلى طرح الكثير من الروايات حتى أنّ المجلسي احصى ما يطرحه هذا التقسيم من الكافي فكان ثلثي الروايات المدونة فيه [٥٧] * في حين لم يشهد الرواق غير الشيعي مراجعة للنصوص المروية في الكتب الحديثية الاساسية بل هناك منع عقائدي من نقد ما يطلق عليه بالصحاح.

وفي القرن العاشر بدأت موجة إخبارية عارمة تجتاح الدرس الشيعي مقابل تلك الموجة التي تماهت مع العقلانية والفلسفة والمنطق والعرفان، ولعل المبرر لظهور نزعة النقل والنص واعتمادهما أساساً مرجعياً فقط دفع إلى تأليف كتب مرجعية للتراث الشيعي أخذت مكانتها فيما بعد مثل بحار الأنوار للمجلسي، ووسائل الشيعة للحر العاملي، وهذان الكتابان من أوسع الكتب إيراداً للرواية عن آل البيت وقد سجل المجلسي خطوة مهمة في مضاعفة البحث عن مصادر حديثة تراثية لم يوردها المحدثون الثلاثة الأوائل في كتابه بحار الأنوار، لكن المجلسي قد تلقى نقدا لاذعا من كثير من باحثي الشيعة وابرزهم الشيخ محسن اصفي الذي اختزل المائة واربعة عشر مجلدا من احاديث البحار بثلاثة فقط اسماها مشرعة البحار، وكذلك الحال في التدقيق بوسائل الشيعة [٥٨]الذي يوثق (٣٥٨٦٨) حديثاً ، ووجدنا نقداً بالغاً لكتاب الفيض الكاشاني الوافي، رغم أنّ هذه الموسوعات الحديثة (بالكم والنوع) لاتصرح بأنّها من لباب الصحيح من جهة،المرويات والعثور على أصول لم يعثر عليها على أنّ تصنيف هذه الكتب كان

تصنيفاً أفضل، ومع كل الدراسات النقدية للمجاميع الحديثية الشيعية ترى الإخبارية الشيعية المتأخرة أنّ الكتب الأربعة قد صنفت في سياق عملية تصفية واسعة فهي مما بذل فيها جهد كبير فلا معنى للتصفية الجديدة على يد العلامة الحلي وابن طاووس [٥٩]. بيد أنّ هذه الدعوى النصوصية الإخبارية لم تصمد إزاء العقلانية الشيعية والتزامها أسس الممانعة.

وكجزء من هذا التطور المهم في التراث الفكري الشيعي هو التطور الكلامي فقد أورد أحد الدارسين ملاحظة مهمة استخلصها من استقراء كتب الكلام الشيعي مفادها أنّ قضايا هذا الجزء من التراث الشيعي كان محاولات للرد على الاتهامات التي توجه للتشيع فهو مسكون بحالة الدفاع، والفكر المدافع يكون أسير تصورات (قضايا الجدل) وقد ينساق إلى ما لا يستحق الجهد لو لم يكن في مقام الدفاع [٦٠] .بيد اني ارى أنّ القضايا التي انشغل بها الكلام الشيعي وكررها في القرون الستة الأولى كانت تقف على الإمامة واحقيتها للوصول الى نظرية دستورية في الدولة القانونية وان الغيبة كانت انتقالة لادارة المجتمع الشيعي نفسه بنفسه وان التقية كانت النظرية التي تحدد طريقة التعاطي مع الحكومات المتعاقبة والتصدي لسياسات الاستئصال ،ويلفت النظر ضياع الكثير من كتب الكلام الشيعي يعد مشكلة في طبيعة البحث عن الممانعة الشيعية [٦١] ، ومنه مجموع المناظرات والدور التدويني التي تركز في الكتب المؤلفة عن الإمامة والفرق المنشقة عن التشيع ومناقشة قضايا الغلو وقد استمر هذا التوصيف حتى (٢٦٠هـ) فانشغلوا في قضية الغيبة، وكان المتكلمون هم آل النوبختي وابن قبة والعماني وابن الجنيد [٦٢] ، وكادت تضيع الجهود الشيعية لولا ظهور كتاب المفيد المهم أوائل المقالات، والمرتضى الفصول المختارة والشافي في الإمامة .

ومن وجوه التطور المعرفي في التراث الشيعي المدونات المرجعية في تفسير القرآن إذ اتفق الدارسون على أنّ علم التفسير قد ولد في أحضان علم الحديث والرواية، وقد عرف الناس تفسير القرآن من خلال مرويات صدرت عن النبي والصحابة والتابعين، ولعل الشيعة من أول من فسر كتاب الله طبقاً للروايات الواردة عن أئمتهم.

فمن التفاسير الروائية التفسير المنسوب للإمام الحسن بن علي العسكري (ت٢٥٦هـ) وهو كتاب على طريقة الرواية مع ذكر إسنادها وهو تفسير ((فيه آراء خاصة للشيعة)) مثل اقتران قبول الأعمال بالولاية [٦٣] والثناء في محبة علي وآله، ويتميز التفسير بأنّ فكراً تقليدياً شيعياً يشتمل عليه ذلك التفسير .

ومنها تفسير العياشي محمد بن مسعود السمرقندي المعروف بالعياشي (٣٢٠هـ) قال عنه ابن النديم أنّه من فقهاء الشيعة [٦٤] جمع فيه المأثور عن أئمة آل البيت، وإن وصل إلينا مبتوراً حيث أسقط النساخ الأسانيد ونسخوا الجزء الأول فقط إذ أنّه يقف عند سورة الكهف.

ومنها تفسير ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) والذي وصل منه فقط (من الفاتحة حتى سورة الرعد) ومن سورة المؤمنون إلى العنكبوت ومنها تفسير علي بن إبراهيم الأشعري القمي (٣٢٩هـ) وهو من مشايخ الحديث، وعنه روى الكليني [٦٥] وهو من صنع تلميذه العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر*.
ومنها تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي وهو من رجال فترة الغيبة الصغرى وشيخ المحدثين وهو معاصر للكليني وابن عقدة، وقد بلغ مشايخه المائة شيخ، ويحتوي تفسيره على (٧٧٧) حديثاً وفيه أنّه يروي عن زيد أخباراً تنفي العصمة عن غير الخمسة فيقال أنّه زيدي لكن الكثير من روايات الصدوق تنتهي الى فرات وكانت هذه التفاسير تفاسير بالمأثور والرواية، ولولا النزعة العقلانية والممانعة للنصوصية لبقي هذا المنهج فقط المنهج المعتمد في التفسير الشيعي كما هو الحال في المدرسة السلفية التي تقتصر على تفسير ابن كثير لكن في مطلع القرن الخامس الهجري بدأ تطور مهم بظهور تفسير التبيان للشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) وهو تفسير كامل جامع شامل للمعنى والتأويل واللغة والفقه والكلام، ولعله آخر كتب الطوسي الكثيرة، لأنه يحيل فيه على كتبه السابقة عليه، وينص الشيخ الطوسي على أنّه إنّما عمد إلى ذلك لأنه لم يصنف الشيعة كتاباً جامعاً شاملاً للتفسير وفيه تتأكد المقولات العقائدية الشيعية مثل تفسير (إنّما وليكم الله ....) [٦٦]وقد عمد الطوسي إلى إدراج العقليات والبرهانيات والمحاججات في تفسيره.
وهو مثال وأنموذج لكتاب الطبرسي (ت٥٤٨هـ) مجمع البيان[٦٧] الذي جاء بعده وقد نقد الذهبي كتاب مجمع البيان لما فيه من آراء شيعية واعتزالية لكنه قال على الرغم من ذلك أنّه كتاب عظيم في بابه، ويرى الذهبي أنّ الطبرسي فسر كتاب الله على ما يتفق وعقيدته غير أنّه ليس مغالياً في تشيعه ولا متطرفاً في عقيدته [٦٨] ويؤكد الذهبي بقوله لم نأخذ عليه أنّه كفّر أحداً من الصحابة أو طعن فيهم بما يذهب عدالتهم، ولم يغال في شأن علي بما يجعله في مرتبة الإله أو مصاف الأنبياء وإن كان يقول بالعصمة [٦٩] وهنا نكتشف إحدى الثمرات المهمة للممانعة التي تؤسس لوسطية عقائدية جامعة يقوم بها كبار علماء الشيعة وبعد ذلك توالت تفاسير الشيعة للقرآن الكريم نسجاً على هذين الكتابين حتى العصر الحديث الذي عرف لهم تفسير الميزان وتفسير السبزواري والأمثل وروح البيان وغيرها من تفاسير الشيعة.

إستخلاصات من التراث المرجعي الشيعي :

من خلال العرض المكثف للتراث الشيعي وتطوراته يمكن استخلاص مجموعة ملاحظات:
أ/ نلحظ من خلال ما استعرضناه من استقصاء لنشأة التراث الشيعي وتطوره أنّه لم يصلنا من ذلك التراث إلاّ بعضه لاسيما مما دون في قرن التدوين الأول (١٥٠هـ- ٢٥٠هـ) ، ولعل السبب في ذلك هو الصدام العنيف مع الدولة كما في عصر المتوكل وما بعده، فلم تظهر المدونات الشيعية إلاّ في زمن متأخر

أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع ، إبان العصر البويهي وقد ظهرت بآراء متباينة لاسيما ما كتب في قرن التدوين الأول من حيث الاعتبار أو الوثاقة ورغم كل الظروف القيصرية للانتاج المعرفي الشيعي لم نجد فيها دعوة للتكفير والاقصاء والانفصال التام والتشدد وترويج العنف والأصوليات السلبية.

ب/ وضح أيضاً أنّ المدونات التي كتبت في هذه الفترة وما بعدها وبسبب السرية الكاملة والخوف من السلطة، قد حمل بعضها شيئاً من الزيادات، أو نقصاً في البيانات أو آراء للغلاة ولم يتركها علماء الشيعه بل بادروا الى نقدها وتمحيصها ومراجعتها وتفكيك نظريات الغلو ولا زالت جهودهم في المراجعة والنقد والدراسة جارية ولعل هذا النوع من التعاطي مع التراث الشيعي الذي تدخلت فيه ظروف قاسية واحد من مكونات الممانعة الشيعية من الوقوع بالغلو والتشدد والانحصار في الرؤى القديمة التي تكون بالضرورة حاضنة للعنف.

ج/ أنّ تشدد الشيعة على الإسناد ووضع المعايير لتحديد مخرجاته وما انتهى إليه اليوم كان علاجاً فعلياً للتوثق من مرويات الحديث وهذا التمسك عندهم أساس للمراجعة الدورية للمرويات مقابل مقولة (الصحاح) التي استقرت في المجاميع الحديثية الاخرى، مما حدا بالفكر الشيعي المعاصر أنّ يرفض توصيف أي كتاب حديثي بأنه من الصحاح .

د/ لم نجد في المراجع الأساسية للتشيع دعوة إلى التطهير العقائدي للآخر أو معاملتهم معاملة عنيفة وهذا أمر ملفت للنظر رغم المظلومية التأريخية التي كان مبرراً أنّ تكون دافعاً أو حاضنة لنظريات العنف ضد الآخر، لكن ذلك التراث يبقى مصرّاً على إنتاج تراث لا عنفي .حتى قال : جون ديكر (لعل ذلك كان يراد منه أنّ يصنع وعياً تأريخياً متصاعداً يساعد على إنضاج النموذج البديل لتأريخ العالم [٧٠]

الهوامش:

(١) ابن منظور: لسان العرب ج٦ ص ٤٢٧٧

(٢)المرداوي : شرح مختصر الاصول ٨٧/١

(٣)الآمدي : الاحكام في اصول الاحكام ١/ ١١٢

(٤)الجرجاني : التعريفات /٢٧٤ الفقرة ١٤٠٢

(٥)شتراوس :الانثروبولوجيا البنيوية ص٧

(٦)فالح عبد الجبار رأس المال لكارل ماركس ص ١٤

(٧)اديثكريزويل ، عصر البنيوية ، ترجمة جابر عصفور ص٢٠

(٨) د. عبد الجبار ناجي : التشيع والاستشراق ص١٥٦ .

(٩) م.ن ١٦٣ .

(١٠) ظ كذلك عبد الرحمن بدوي :موسوعة المستشرقين ونجيب العفيفي المستشرقون

(١٠) ظ ج ٩ / ص ٤٢٠

* عمل موسوعي جامع لآراء الباحثين الغربيين حول التشيع والشيعة وكان أول جزء صدر من الموسوعة سنة ١٩٠٨ وصدر الجزء الرابع عام ١٩٣٤، استأنفت الموسوعة صدورها عام (١٩٨٥م وجددت طبعاتها عام ١٩٨٧ وترجمت إلى لغات متعددة منها العربية، وقد صدر الجزء الحادي عشر عام ٢٠٠٢ .

(١١)عبد الجبار ناجي : التشيع والاستشراق ص ١٥٦ .

(١٢) Norman Calder (Judicial Authrity in Imami Shi l Jurisprudence , 1979

(١٣) محمد حسين الطباطبائي، الشيعة، نص الحوار مع كوربان، ترجمة : جواد علي ص٤٦

(١٤) ظ مرتضى مطهري ، الإسلام وإيران ، ترجمة محمد هادي اليوسفي ٨٩/١ .

(١٥) عبد الجبار ناجي : التشيع والاستشراق ص ١٨٦ .

(١٦) أبو القاسم الخوئي : معجم رجال الحديث ج٩/ص ١٥٦

(١٧) نقل منه صاحب تفسير نور الثقلين ٣٧١/٥ ، المفيد : الإختصاص ص ٣٧ ، والطباطبائي في الميزان ٩٦/٦ ، والطوسي : الغيبة ٨٤/١ .

(١٨) اللجنة العلمية في مكتبة بارسا : مصنفات الشيخ الصدوق ، ص ١٥ .

(١٩) ظ الطبري : الشيعي : المسترشد ، تحقيق أحمد المحمودي ص ٥٧.

(٢٠) الطبري الشيعي : دلائل الامامة ، سلسلة الكتب العقائدية (١٨٤) ، مركز الأبحاث قم ص ١١٣.

(٢١) عبد الله بن جعفر الحميري : قرب الإسناد ، تحقيق مؤسسة آل البيت قم ص ٧٦.

(٢٢) الحراني : تحف العقول ، ص ١٣ .

(٢٣) صاحب محمد نصار :الشيخ المفيد وجهوده العلمية ، رسالة ماجستير مطبوعة مقدمة إلى كلية الفقه ١٩٨٧ .

(٢٤) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسي وجهوده ، رسالة ماجستير مطبوعة مقدمة إلى الآداب – جامعة بغداد ١٩٧٤ ص ١٩٥

(٢٥) إبن شهر أشوب :مناقب آل أبي طالب ، تحقيق يوسف البقاعي دار الأضواء ج٣ ص ٢١٣ .
(٢٦) الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ، طبع إيران ج ٥ .
(٢٧) عمار عبودي نصار : الملاحم والفتن ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة بغداد .
(٢٨)الدينوري : الأخبار الطوال ج١ / ص ١٤٠ .1
(٢٩) الشريف المرتضى علي بن الحسين : (الشافي في الإمامة) ، تحقيق عبد الزهراء الخطيب ج١٨٩/٣ .
(٣٠)أحمد أبي يعقوب : تاريخ اليعقوبي ، ج١ / ٩٢ .
(٣١) ينظر : ترجمة الطبري في أعيان الشيعة لمحسن الأمين ، وتقييم كتابه تأريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٧ .
(٣٢) المقدسي : البدء والتاريخ ، تحقيق المستشرق كليمان هوار .
(٣٣) في كتابه التنبيه والاشراف أدرج ما يشبه تذكره لما إشتملت عليه مؤلفاته وكان قد ألفه قبيل وفاته ، ظ : عبد الفتاح محمد وهبه (جغرافية المسعودي بين النظرية والتطبيق) ص ٦٧ طبع مصر
(٣٤) ابو الفرج الاصفهاني : مقاتل الطالبيين تحقيق أحمد صفر مصر ص ١٧ .
(٣٥) جاسم الجزائري : أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية أبن رشد ، كتب الفروق والمقالات من ق ٤-٧ هـ ص ٢٣٤ .
(٣٦) تقي الدين المقريزي ، النزاع والتخاصم ، تحقيق علي عاشور دار الجيل .
(٣٧) الشاطبي :الموافقات في أصول الشريعة ج ٣/ ص ٢ ، ظ : إبن خلدون : المقدمة ج ١ ص ٢٤٤ .
(٣٨) السيوطي : تدريب الراوي ٦١/٢ .
(٣٩) الصفار : بصائر الدرجات ، الكليني : الكافي ١٤١/١ ظ عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق ص٢٥
(٤٠) الصفار : بصائر الدرجات ، الكليني : الكافي ١٤١/١ ظ عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق ص٢٥
(٤١) النجاشي : رقم ٢،١
(٤٢) ابن النديم : الفهرست ٣٠٨/١ ، الطوسي : الفهرست
(٤٣) الحر العاملي :وسائل الشيعة : الفائدة الرابعة من الفوائد يقال أنّه ظفر بـ ٨٠ كتاباً منها فقط .
(٤٤) الطوسي : الفهرست ٢٦٠/١.
(٤٥) م . ن : ٣٠٧/١.
(٤٦) م . ن : ٢٥٠/١.
٤٧(٤٧) م.ن ٢٤٩/١.
(٤٨) م.ن ٢٤٩/١-٢٥٠.
(٤٩) معجم مؤرخي الشيعة ص٢٣٦.
(٥٠) الكافي : ٥٢/١.
(٥١) النجاشي (مقدمة) كتابه الرجال ، طبع قم .
(٥٢) المفيد :الإرشاد / ٢٨٩.
(٥٣) وممن ذكر بالعمل بجمع الموجود أحمد بن محمد بن أبي نصر وحسن بن علي بن فضال.

(٥٤) الذهبي :ميزان الاعتدال ١/٥.

(٥٥) ابن حجر الهيتمي :ج ٢/٥٨٦ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلالة والزندقة ، تحقيق عبد الرحمن التركي مطبعة الرسالة بيروت ظ ١٩٩٧.

(٥٦) العلامة الحلي :منتهى المطلب ص١٨٠-١٨٤.

(٥٧) مرآة العقول :في شرح أخبار آل الرسول ص ٢٦ .، ظ : نصوص معاصرة :

*لقد وجد ابن طاووس أنّ عدد احاديث الكافي كلها (١٦١٩٩) وعلى وفق التقسيم الرباعي فإن هناك (٥٠٧٢) حديثاً صحيحاً و (١١١٨) حديثاً موثقاً و (٣٠٢) حديثاً حسناً و (٩٤٨٥) حديثاً ضعيفاً، أي أنّ نصف الكافي محل دراسة .

(٥٨) النوري : مستدرك الوسائل الخاتمة ١/٣٦٢

(٥٩) البحراني :الحدائق : المقدمة السادسة ص ١٢٠ .

(٦٠) علي المدَن : تطور علم الكلام الامامي ص١٢٠

ظ عبد العزيز الطباطبائي : موقف الشيعة من هجمات الخصوم ، مجلة تراثنا ع١/س٢/ص٣٢

(٦١) المدَن :تطور علم الكلام ص١٣٠

(٦٢) النجاشي :الرجال ٣١-٣٢ ، ٤٨، ٣٨٥

(٦٣) تفسير الإمام العسكري ص٩

(٦٤) ابن النديم :الفهرست ج١ / ٢٧٤ .

(٦٥) محمد هادي معرفة :التفسير والمفسرون ٢/٧٥١

*هناك كلام في مجهولية الإسناد لراوٍ أسمه (أبو الفضل العباس بن محمد) وان رواية الكليني له ليست من هذا الإسناد إنما من علي بن إبراهيم مباشرة

(٦٦) الطوسي : التبيان ٣/٥٥٩

(٦٧) الخوانساري : روضات الجنات ٥/٣٥٩

(٦٨) الذهبي :التفسير والمفسرون ٢/١٠٤

(٦٩) م.ن ٢/١٤٢

(٧٠) جون ديكر : أصول العنف ، الدين والتأريخ والإبادة ص ٣٢١ .